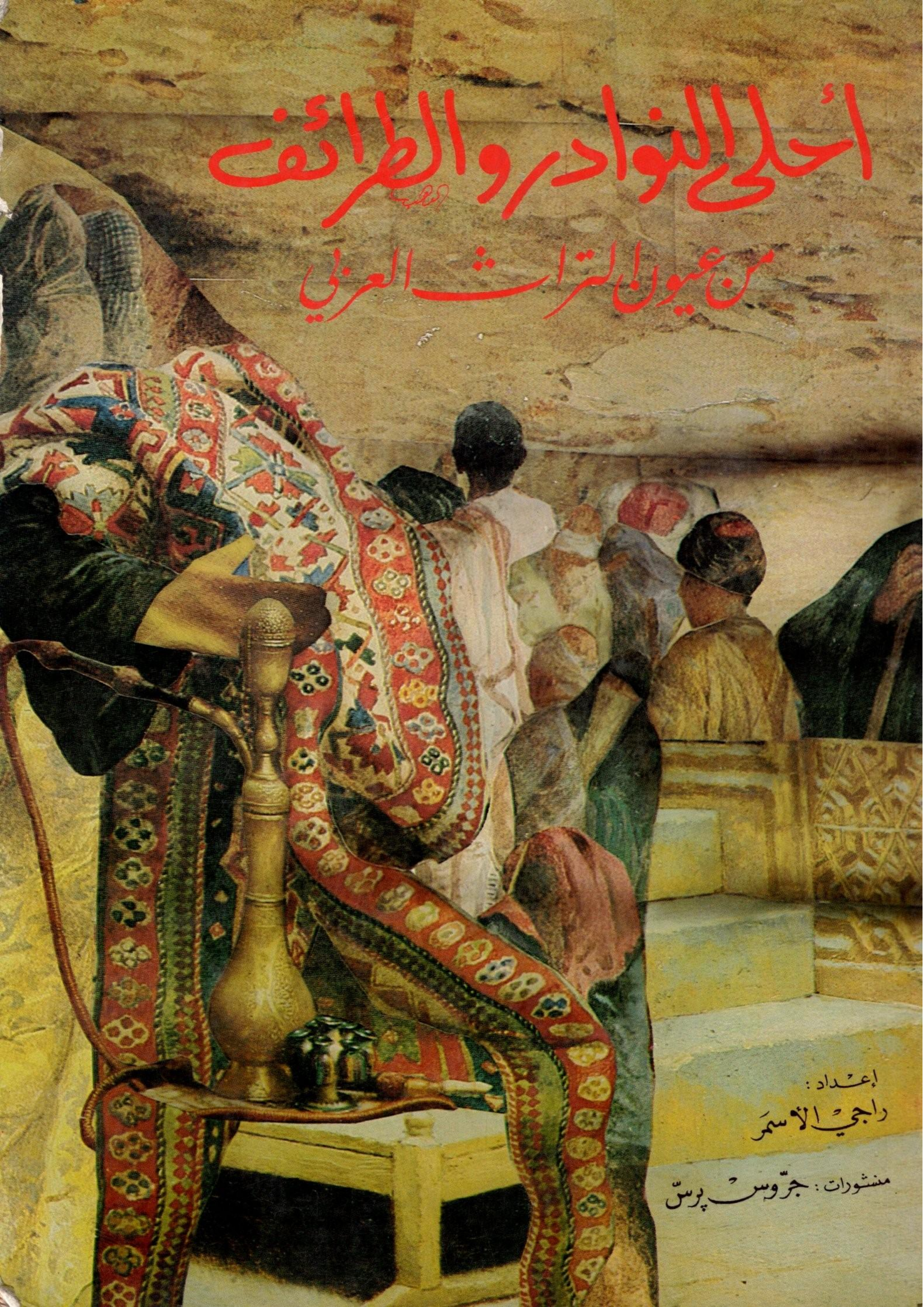


أحلى النوادر والطرائف

من عيون التراث العربي

إعداد :
راجي الأسمر

منشورات : جرّوس برس

أحلى النوادر والطرائف

من عيون التراث العربي

أحلى النوادر والطرائف

من عيون التراث العربي

راجي الأسمر

جروس برس
طرابلس - لبنان

تصميم الغلاف : جينا عطية

الفصل الأوَّل

من نوادر وطرائف الخلفاء

أبو بكر وابن الخطّاب

عيّن أبو بكر الصدّيق[1] «عمَر بنَ الخطّاب»[2] قاضياً على المدينة، فمَكَثَ عمرُ سنة دون أن تُرفعَ إليه شكوى. فَطَلَبَ من أبي بكر إعفاءه من هذا المنصب. فقال أبو بكر: أمِنْ مَشقّة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ فقال عمر: لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين، عَرَفَ كلّ واحد منهم حقّه، فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب، فلم يقصر عن أدائه، أحبّ كلّ منهم لأخيه ما يحبّ لنفسه، إذا غاب أحدهم تَفقّدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه، دينهم النصيحة، وَخُلُقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيمَ يَختصمُون؟

---

(١) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان، (٥١ ق هـ ١٣ هـ = ٥٧٣ - ٦٣٤). وهو أوّل الخلفاء الراشدين، وأوّل من آمن بالرسول (ص) من الرجال. لقبه العرب بعالم قريش. حارب المرتدّين، وفتح بلاد الشام وقسم من العراق. كان خطيباً لَسناً وشجاعاً بطلاً، وحليماً رؤوفاً. (الزركلي ج ٤، ص ١٠٢).

(٢) هو ثاني خلفاء الراشدين (٤٠ هـ ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤). وهو أوّل من لقّب بأمير المؤمنين، كان شجاعاً وفيه يضرب المثل في العدل. وقال عكرمة فيه: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. (الزركلي. ج٥، ص٤٥).

عمر والرجوع إلى الحق

في إحدى جولاته لتفقد رعيته، تَسَوَّر عُمَرُ بنُ الخطّاب الحائطَ على جماعةٍ يشربون الخمر، ثمَّ باغتهم، وهُم يشربون، ولمّا أراد عقابهم، قالوا له: لقد أتينا بمنكرٍ واحد، أما أنت فقد أتيتَ بثلاثة منكرات: ١ ـ دخولك علينا من غير الباب. ٢ ـ عدم استئذانك بالدخول. ٣ ـ تجسّسك علينا. وكل هذه الأمور نهى الله عنها، فَانْثَنَى عمر عنهم بعد أن لزمته حجّتهم. وفي هذا الرجوع إلى الحق قال حافظ إبراهيم يمدحه:

وَفِتْيَةٍ وَلِعُوا بِالرَّاحِ فَانْتَبَذُوا ... لَهُمْ مَكَاناً وَجَدُّوا في تَعَاطِيها[1]
ظَهَرْتَ حَائِطَهُمْ لَمَّا عَلِمْتَ بِهِمْ ... واللَّيْلُ مُعْتكِرُ الأَرْجَاءِ سَاجِيها[2]
حَتَّى تَبَيَّنْتَهُمْ والخَمْرُ قَدْ أَخَذَتْ ... تَعْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيها وَحَاسِيها[3]
سَفَّهْتَ آراءَهُمْ فيها فما لَبِثُوا ... أنْ أَوْسَعُوكَ على ما جئتَ تَسْفِيها
وَرُمْتَ تَفْقِيهَهُمْ في دينهم فإذا ... بالشَّرْبِ قدْ بَرَعُوا الفَارُوقَ تَفْقِيها[4]
قَالوا: مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ ... وَجِئْتَنَا بِثَلاثٍ لا تُبَالِيها
فَأْتِ البُيُوتَ مِنَ الأبْوَابِ يا عُمَرُ ... فَقَدْ يُزَنُّ مِنَ الحيطان آتيها[5]
وَٱسْتَأْذِنِ النَّاسَ أنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمُ ... ولا تُلِمَّ بِدارٍ أو تُحَيِّيها[6]
وَلاَ تَجَسَّسْ فهٰذي الآيُ قَدْ نَزَلَتْ ... بالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاهِيها
فَعُدْتَ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ ... لَمَّا رأَيْتَ كِتَابَ اللهِ يُمْلِيها
وَمَا أَنِفْتَ وإنْ كانُوا على حَرَجٍ ... مِنْ أنْ يَحُجَّكَ بالآياتِ عاصيها[7]

---

(١) الراح: الخمرة ـ انتبذوا: اتّخذوا ناحية.
(٢) ظَهَرْتَ: علوت ـ اعتكر الليل: أظلم ـ الساجي: الساكن.
(٣) الذؤابة: أعلى الرأس ـ الحاسي: الشارب.
(٤) الشرب: الشاربون ـ برعوا: فاقوا ـ الفاروق: لقب عمر بن الخطاب.
(٥) يزنّ: يتّهم.
(٦) تغشى بيوتهم: تدخل بيوتهم.
(٧) الحرج: الإثم ـ يحجّك: يقارعك بالحجّة البرهان.

عمر بن الخطاب ورسول كسرى

أَرْسَل كسرى ملكُ الفرس رسولاً إلى عمر بن الخطّاب ليُفاوضه في بعض الأمور، فلمّا وصل الرسول إلى المدينة المنوّرة، لم يَسْتَهْدِ إلى «قصر» عُمَر، فسأل عنه، فأَرْشَدَه أحد العرب إليه، فَعَلِم أنّه لا يسكن قصراً كقصور ملوك الفرس والروم، بل بيتاً كبيوت أفقر العرب. وعندما وصل، وجد أنَّ الخليفة نائم على الرمل أمام البيت، جاعلاً منه وسادة أسند إليها رأسه، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميّزه من أصغر فَرْدٍ في رعيّته، فلمّا رأى الرسول ذلك دُهشَ وَوَقَفَ أمامه خاشعاً، وقال عبارته المشهورة: عَدَلْتَ، يا عُمر، وأَمِنْت، فَنِمتَ. وفي هذا قال حافظ إبراهيم مادحاً عُمَر:

وَرَاعَ صاحِبَ كِسْرَى أنْ رَأَى عُمَراً ... بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وَهوَ رَاعيها[1]
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الفُرْسِ أنّ لها ... سُوراً من الجُنْدِ والأَحْراسِ يَحميها
رَآهُ مُسْتَغْرِقاً في نَوْمِهِ فرأى ... فيهِ الجَلالَةَ في أسمَى مَعَانِيها
فَوْقَ الثَّرَى تَحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً ... بِبُرْدَةٍ كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها[2]
فَهَانَ في عَيْنِهِ ما كانَ يُكبِرُهُ ... مِنَ الأكَاسِرِ وَالدُّنْيا بِأَيْديها
وَقالَ قَوْلَةَ حَقٍّ أصبَحَتْ مَثَلاً ... وَأَصْبَحَ الجيلُ بَعْدَ الجيلِ يَرْويها
أَمِنتَ لَمَّا أقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ ... فَنِمْتَ، نَوْمَ قَريرِ العَيْنِ هانِيها[3]

---

(١) راع: أخاف، وأعجب - عطلاً: بعيداً عن مظاهر الأبّهة.
(٢) الروح: الشجر الكثيف - مشتملاً ببرده: مرتدياً ثوباً فضفاضاً.
(٣) قرير العين: مطمئنّ.

حُذَيفة وعمر وعلي

روي عن سيدّنا عمر أنّه لقي حُذَيْفة بن اليمان[١] فقال له: كيف أصبحتَ يا حُذَيْفَة؟ فقال: أصبحت أُحبُّ الفِتْنَة، وأكرهُ الحقّ، وأصلّي بغير وُضوءٍ، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء، فغضب عمرُ غضباً شديداً، فدخل عليّ بن أبي طالب[٢] (رض)، فقال له: يا أمير المؤمنين، على وجهك أثر الغضب! فأخبره عمرُ بما كان له مع حُذَيْفَة. فقال له: صَدَقَ يا عمرُ، يحبّ الفتنة[٣]،

يعني المالَ والبنين، لأن الله تعالى قال: إنما أموالكم وأولادكم فتنة[٣]. ويكره الحقّ، يعني الموت. ويصلّي بغير وضوء، يعني أنّه يُصلّي على النبيّ بغير وضوء في كلّ وقت. وله في الأرض ما ليس لله في السماء، له زوجة وولد، وليس لله زوجة وولد. فقال عمرُ: أصَبْتَ، وأحسنْتَ يا أبا الحسن، لقد أزلتَ ما في قلبي على حذيفة بن اليَمان.

العاملي: المخلاة. ص ٢

استقراض

طَلَبَ عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف[٤] أن يقرضه أربعمائة درهم. فقال عبد الرحمن: أتَسْتَقْرِضُني، وعندك بيت مال المسلمين؟! أمَا بوسعك أخذ المبلغ، وتردّه فيما بعد؟ فقال عمر: إنّي أخشى أن يُصيبي قدري

---

(١) هو حُذَيْفة بن حِسل بن جابر العبسي، (... - ٣٦ هـ = ... - ٦٥٦). صحابيّ من الولاة الشجعان، وصاحب سرّ النبي (ص) في المنافقين. وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حُذَيفة، فإذا حضر الصلاة صلّى عليه عمر وإلاّ لم يصلّ عليه (الزركلي. ج ٢، ص ١٧١).

(٢) هو أبو الحسن (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١) رابع خلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة، وابن عم النبيّ (ص) وصهره. وأول من آمن بالدعوة الجديدة بعد خديجة. وهو من أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء. (الزركلي.. ج ٤، ص ٢٩٥).

(٣) التغابن: ١٥.

(٤) عبد الرحمن بن عوف (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢) من أكابر الصحابيين وأحد =

فتقول وأصحابك: دَعُوا هذا لأمير المؤمنين حتّى يؤخذ من ميراثي يوم القيامة ولكنّي أَسْتَقْرِضُكَ لِما أعلم من شحّك، فإذا متّ جِئْتَ تَسْتَوفيها من ميراثي.

أخلاق عليّ بن أبي طالب

اَسْتَعْدى[١] رجلٌ على عليّ بن أبي طالب عمرَ بن الخطّاب (رضي الله عنهما)، وعليّ جالس، فالْتفَتَ إليه، وقال: قم يا أبا الحسَن فاْجلسْ مع خَصْمِك. فقام عليّ، وجلس معه، وتَنَاظَرا، ثمّ انصرف الرجل، ورجع عليّ إلى محلّه، فتبيّن عمرُ التغيُّرَ في وجهه فقال: : يا أبا الحسَن، ما لي أراك متغيّراً! أكَرِهْتَ ما كان؟ قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: كَنَّيْتَني بحضرة خصمي، هلاّ قُلْتَ: قمْ يا عليّ فاجلسْ مع خصمك! فاْعْتَنَقَ عمرُ عليّاً، وجعل يقبّل وجهه، وقال: بأبي أنتم! بِكُمْ هدانا الله، وبِكمُ أخرجنا من الظلماتِ إلى النور.

ابن ابي الحديد: الشرح. ١٧/٦٥

دعاء بليغ

أُسِر رجل من أصحاب عليّ (رض) لدى معاوية[٢] في معركة صفّين[٣]. ولمّا مَثُلَ أمامه قال معاوية: «الحمد لله الذي أمكنني منك». فأجاب: «لا

= العشرة المبشرين بالجنّة. وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم. كان اسمه في الجاهليه «عبد الكعبة» أو «عبد عمرو». وسمّاه الرسول (ص) عبد الرحمن. (الزركلي. ج٣، ص٣٢١)

(١) استعدى: استعان، وشكا.

(٢) هو معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠). مؤسّس الدولة الأمويّة في الشام، وأحد دهاة العرب. اشتهر بفصاحته وحلمه ووقاره. (الزركلي. ج٧، ص٢٦١).

(٣) صفّين: مكان على شاطئ الفرات، فيه وقعت المعركة بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب، وانتهت المعركة بالتحكيم.

تَقُلْ ذلك، فإنّها مصيبة كبرى». قال: «إنّها لنعمة عظيمة في أن يكون الله قد أظفرني بِمَنْ قَتَلَ عدداً من أصحابي. اُضْرِبُوا عُنُقَه». فقال الأسير: «اللّهمّ اشهدْ أنّ معاوية لم يَقتُلني فيك، ولا لأنّك تَرْضى قَتْلي، ولكن قتَلَني في الغلبة على حُطَام هذه الدنيا، فإنْ فعل فافعلْ به ما هو أهله، وإن لم يفعل، فافعلْ به ما أنت أهله». فقال معاوية: «قاتَلَكَ اللهُ لقد سَبَبْتَ فأوْجَعْتَ، ودَعَوْتَ فأبْلَغتَ، خلّوا سبيله».

معاوية وعامله

استعمل معاوية عاملاً من قبيلة كلب، فخطب يوماً، فذكر المجوس[1]، فقال لَعَنهم الله! يَنكحُون أمهاتهم، والله لو أُعْطيتُ عشرة آلاف درهم ما نَكَحْتُ أمّي؛ فَبَلَغَ ذلك معاوية فقال: قبّحه الله. أتراه لو زادوه فعل! وَعَزَلَه.

ابن ابي الحديد: الشرح. ١٨/١٦٦

شريك بن الأعور ومعاوية

دخل شريك بن الأعور، وكان رجلاً دميماً[2] على معاوية، فقال له معاوية: «إنك لدميمٌ، والجميل خيرٌ من الدميم، وإنّك لشريكٌ، وما لله من شريك، وإنّ أباك لأعْوَرُ، والصحيحُ خيرٌ من الأعور، فكيف سُدْتَ[3] قَوْمَك»؟ فقال له: «إنك لمعاوية، وما معاوية إلاّ كلبة عوَتْ فاستعوَتِ الكلاب، وإنك ابن صخرٍ والسهل خيرٌ من الصخر، وإنك لابن حرب، والسِّلْم خير من الحرب، وإنّك لابن أمية، وما أميّة إلا أمَةٌ فصُغِّرتْ، فكيف أصبَحْتَ أمير المؤمنين»؟ ثم خرج من عنده، وهو يقول:

---

(١) المجوس: قومٌ يعبدون النار.

(٢) الدميم: القبيح.

(٣) سدت: أصبحت سيداً.

أَيَشْتُمُنـي مُعَـاوِيَـةُ بْـنُ حَـرْبٍ   وَسَيْفـي صَـارِمٌ وَمَعِـي لِسَـانـي
وَحَوْلي مِـنْ بَنِـي قَـوْمـي لُيُـوثٌ   ضَـراغِمَـةٌ تَهَشُّ إلـى الطِّعَـان
يُعَيِّـرُ بـالـدَّمَـامَـةِ مِـنْ سَفَـاهٍ   وَرَبَّاتُ الخُـدُورِ مِـنَ الغـوانـي[1]

الزمخشري: ربيع الأبرار. ص ٦٩٩

السلام على أمير المؤمنين!

خرج أمير المؤمنين، أبو العباس[2] متنزّهاً، فأمعَنَ في نزهته وآنْتَبَذَ[3] من أصحابه، فوافى خِبَاء أعرابي، فقال له الأعـرابـي: ممّـن الرجـل؟ قـال مـن كنانة[4]! قال: من أيّ كنانة؟ قال: من أبغض كنانة إلى كنانة! قال: فأنـت، إذن، من قريش؟! قال: نعم! قال: فمن أيّ قريش؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش! قال: فأنت إذن، من ولد عبد المطّلب؟! قال: نعم. قال: فمن أيّ ولد عبد المطّلب؟ قال: من أبغض ولد عبد المطّلب إلى عبد المطّلب! قال: فأنت إذن أمير المؤمنين! السلام عليك يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته. فآسْتَحْسَنَ ما رأى منه، وأمر له بجائزة عظيمة.

حدائق الأزاهر. ص ٣٨١

---

(١) السفاه: الجهل أو الطيش - ربّات الخدور: ساكنات البيوت. الغوانـي: الحِسـان - ويـريـد القول: إن الجمال من مميزات النساء والقبح ليس عيباً في الرجال.

(٢) هو عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبـاس (١٠٤ هـ - ١٣٦ = ٧٢٢ - ٧٥٤). هو أول خليفة عباسيّ، وأحد الدهاة من ملوك العرب. كان شديد العقوبة، عظيم الانتقام. لقب بالسفاح لكثرة ما أراق من دماء. (الزركلي. ج٤، ص١١٦).

(٣) انتبذ: اعتزل.

(٤) كنانة: قبيلة عربيّة.

مِمّن أنت ؟

سألَ عبدُالملك بن مروان[1] رجلاً من بني تميم قائلاً : « مِمّن أنت ؟ » فقال : من الذين قال شاعرهم :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بَنُو تَميمٍ ... حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضابا

فقال عبد الملك : ومن أيُّهم أنت ؟ قال : من الذين قال فيهم القائل :

يَزِيدُ بَنُو سَعْدٍ على عَدَدِ الحَصَى ... وأثقَلُ مِنْ وَزْنِ الجِبالِ حُلُوما

قال فمِنْ أيُّهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وَأَبيكَ ما ظَلَمَتْ قُرَيعٌ ... بأن يَبْنوا المَكارمَ حَيثُ شاؤوا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأذناب غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسوّي بأنفِ الناقَةِ الذَّنَبَ

قال عبد الملك : اجلسْ والله لقد خفت أن تفخر عليّ.

ربّما كسر أنف سائسه

قال مؤدّب يزيد بن عبد الملك بن مروان : ما لك لَحَنْتَ[2]؟ قال : الجوادُ يَعْثُر ! فقال المؤدّب : أي والله ، ويُضربُ حتى يستقيم ! فقال يزيد : نعم ، وربّما كَسَرَ أنف سائِسِه.

حدائق الأزاهر . ص ٦٠

---

(١) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٢٦ هـ - ٨٦ هـ = ٦٤٦ - ٧٠٥). من أعاظم الخلفاء العباسيين ودهاتهم. وهو أوّل من صكّ الدنانير في الإسلام. وكان يقال: معاوية للحلم، وعبد الملك للحزم. (الزركلي. ج ٤، ص ١٦٥).

(٢) لحَنْتَ : أخطأتَ في الإعراب أو نحوه.

رُقْيَة ناجحة

دَخَلَ عبدالله بن جعفر[1] على عبدالملك بن مروان، فوجده يتأوّه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلتَ عليك مَنْ يُؤنسك بأحاديث العرب، وَبِاسطك آسترحتَ. فقال: لستُ بصاحب لَهْوٍ. قال: ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عِرْقُ النِّسا في ليلتي هذه، فَبَلَغَ منّي ما تَرَى. فقال: إنّ بديحاً مولاي أَرْقَى الخَلْق. فأمر بإحضاره. فلما مَثَل بين يَدَيه، قال عبد الملك: يا بديح، آرْقِ رجلي. فقال: يا مولاي، أنا أرقى الناس لها. ثم وضع يده عليها، وجعل يقول ما لا يسمع. فقال عبد الملك: قد وجدت راحة بهذه الرقية، أين فلانة؟ آئْتُوني بها تكتبها لِئَلاَّ يهيجَ بي الوجعُ بالليل. فقال بديح: الطلاق يلزمه، ما أكتبها إلاّ بتعجيلي جائزتي. فأمر له بأربعمائة ألف درهم. فقال: يا أمير المؤمنين، الطلاق يلزمه، ما أكتبها حتى تُحمل جائزتي إلى بيتي. قال: تُحمَل، فَحُمِلتْ. فقال: يا أمير المؤمنين، الطلاق يلزمه، ما رقيت رجلك إلا مباسطة بقول نُصيب[2] حيث قال:

ألا إنّ لَيلَى العَامِرِيَّة أصْبَحَتْ   على البُعْدِ منّي ذَنْبَ غيري تَنْقِمُ

فقال: ويلك ما تقول؟ فقال الطلاق يلزمه، ما رقيتك إلاّ بها. فقال اكْتُمها عليّ.

الأبشيهي: المستطرف. ج ٢، ص ٢٣٢

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (١ - ٨٠هـ = ٦٢٢ - ٧٠٠). صحابي، كريم، كان يسمّى «ببحر الجود». وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم «صفّين». وهو أوّل مسلم ولد في الحبشة. (الزركلي. ج٤، ص٧٦).

(٢) هو نُصَيب بن رباح، ابو محجن (... - ١٠٨هـ = ... - ٧٢٦). مولى عبد العزيز بن مروان. شاعر فحل، مقدم في النسيب وعنه قال جرير: أشعر أهل جلدته. (الزركلي. ج٨،ص٣١ - ٣٢).

الحكم على الباطن

دخلَ عمر بن عبد العزيز[1] المسجد، فرأى بلال بن أبي بردة[2] يصلّي بخشوع، فقال فيه: إذا كان سرّه كعلانيته، فهو أفضل أهل العراق. فأجاب العلاء بن المغيرة: «أنا آتيك بأخباره». فاقتربَ منه وقال: اشفَعْ صلاتك فإنّ لي حاجة. فلّما سلّم قال له العلاء: تعرف منزلتي عند أمير المؤمنين، فإنّي أشرت عليه أن يُوليك العراق فما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة. قال: اكتبْ ذلك خطأ، فقام وكَتَبَ. فَحَمل العلاء الخطاب إلى الخليفة. فلّما قرأ، كتب إلى واليه في العراق: أمّا بعد، فإن بلالاً غرّنا، فكدنا نغترّ به، ثم سَبَكْناه فوجدناه خبيثاً.

الدين للهداية وليس للجباية

كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، قائلا: إنّ الجزية نقصتْ في بيت المال، لكثرة الداخلين في الإسلام، متمنّيا إبقاء الجزية عليهم، مع أن الإسلام يرفض هذا عمّن أسْلَمَ. فأجابه عمر: قبّح الله رأيك، ما بَعَثَ الله محمّداً جابياً، بل هادياً.

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (٦١ هـ - ١٠١ هـ = ٦٨١ - ٧٢٠). قيل عنه «إنه خامس الخلفاء الراشدين لعدله وصلاحه». وهو أوّل من دعا إلى عدم سبّ عليّ على المنابر. دامت خلافته سنتين ونصف. (الزركلي. ج٥، ص٥٠).

(٢) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري: (... نحو ١٢٦ هـ = ... نحو ٧٤٤). كان أمير البصرة وقاضيها كان راوية فصيحاً، وثقة في الحديث، غير أنّ سيرته لم تكن محمودة في القضاء. (الزركلي. ج٢، ص٧٢).

فضيلة العلم

عرّج هارونُ الرشيد[1] على المدينة بعد أن حجّ، فأحبّ أنْ يَسْتَمِعَ إلى مالك بن أنس[2]. فأرسل في طلبه. فقال مالك للرسول: «قل لأمير المؤمنين، إنّ طالب العلم يُسعى إليه، أمّا العلم فلا يسعى إلى أحد.» فَأَذْعَنَ الخليفة، وقصد دار مالك وأمر بإخلائها، لكن مالكاً رفض إلا أن يبقى الناس، وقال: «إذا مُنع العلم عن العامّة فلا خير فيه للخاصة». فتبسّم الأمير، وأَذْعَنَ مرّة أخرى لرغبته. وسمع الناس الحديث.

حذق هارون الرشيد

حُكِيَ أنّ آمرأه دَخَلَتْ على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقرّ الله عينيك، وفرَّحك بما أعطاك، لقد حَكَمْتَ فَقَسَطْتَ[3] فقال: مَن تكونين أيّتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك[4]، ممّن قَتَلْتَ رجالهم، وأخذْتَ أموالهم. فقال: أمّا الرجال فقد مضى فيهم قضاءُ الله، وأمّا المال فمردودٌ إليك. ثم آلتَفَتَ إلى الحاضرين من أصحابه، وقال:

---

(١) هارون الرشيد (١٤٩ هـ - ١٩٣ هـ = ٧٦٦ - ٨٠٩)، هو ابن محمد بن المنصور العباسي، وخامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب شجاعاً، يلقب بـ «جبّار بني العبّاس»، وكريماً جزل العطاء للعلماء والأدباء. (الزركلي. ج٨، ص٦٢).

(٢) مالك بن أنس (٩٣ هـ - ١٧٩ هـ = ٧١٢ - ٧٩٥) هو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة، وإليه تنسب المالكية. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء (الزركلي. ج٥، ص٢٥٧).

(٣) قسط: عدل.

(٤) آل برمك: أسرة فارسية تقلّد أبناؤها الوزارة في عهد العباسيين. فنكبهم الرشيد، ونكّل بهم. أشهر أبنائهم: خالد بن برمك، ويحيى بن خالد، والفضل بن يحيى، أخو الرشيد بالرضاعة، وغيرهم، (المنجد. ص١٢٢).

أتدرُون ما قالت هذه المرأة؟ فقالوا: ما نراها قالت إلاّ خيراً، قال: ما أظنّكم فهمتم ذلك. أمّا قولها: أقرَّ اللهُ عينَك، أي أسْكَنهَا عن الحركة، وإذا سَكَنَتْ العين عن الحركة عَمِيَتْ. وأمّا قولها: وفرّحك بمّا أعطاك، أخذته من قوله تعالى: ﴿حتى إذا فرحُوا بما أُوتوا أخذنَاهمْ بَغْتَةً﴾[١]. وأمّا قولها: حَكَمْتَ فَقَسَطْتَ، أخذته من قوله تعالي: ﴿وأما القاسِطُونَ فَكَانوا لِجَهَنَّمَ حطَباً﴾[٢].

التحفة الشهية. ص ١٧٨

الرشيد والعباس بن الأحنف

حُكِيَ أن الرشيد نَظَمَ في إحدى الليالي بيتاً من الشِّعْر، ورام أن يُشْفِعَه[٣] بآخر، فَآمتنَعَ القول عليه، فقال: عليَّ بالعبَّاس بن الأحنف[٤]. فلمّا طُرِقَ، ذُعرَ وفزع أهله. ولمّا وقف بين يدي الرشيد قال له: وجَّهْتُ إليك بسبب بيت قُلْتُهُ، وَرُمْتُ أن أُشفعه بِمِثْلِهِ، فَآمتنَعَ القولُ عليَّ، فقال: يا أمير المؤمنين، دَعْني حتى ترجع إليَّ نفسي، فإنّي تركت عيالي على حال من القلق عظيمة. ونالني من الخوف ما يتجاوز الحدّ والوصف. فَآنْتَظَرَ الرشيد هنيهة، ثم أنشده.

جَنَانٌ[٥] قَد رَأَيناهَا ... وَلَمْ نَرَ مِثْلَهَا بَشَرَا

فقال العبّاس بن الأحنف:

يَزِيدُكَ وَجْهُهَا حُسْنَا ... إذا مَا زِدْتَهُ نَظَرا

فقال: زِدْني، فقال:

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) الجن: ١٥.

(٣) يشفعه: يتبعه.

(٤) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي (... - ١٩٢هـ = ... - ٨٠٨). شاعر غزل رقيق. قال البحتري عنه: «إنه أغزل الناس». قضى حياته لم يمدح ولم يَهجُ، بل آثر الغزل والتشبيب. وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي. (الزركلي. ج٣،ص٢٥٩).

(٥) جنان: إحدى جواري الرشيد.

إذا ما الليلُ سَالَ علَيْـ ـكَ بالإظلامِ وآعْتَكَرا[1]
وَدَجَ فلم تَرَ قَمَراً فأبْرِزْها تَرَ القَمَرا[2]

فقال له الرشيد: قد ذَعَرناك، وأفْزَعْنا عيالك، وأقلّ واجب أن نُعطيك ديّتك، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

ابن خلكان: وفيات. ٢٢/٣

كلام الليل يمحوه النهار

جاءَ في العقد الفريد أنّ الأمين[3] (وقيل الرشيد) كان يطوف في قصر له، إذ مرّ بجارية له سكرى، وعليها كساء خزّ، تسحب أذيالها، فوعدته أن تزوره في اليوم التالي. فلمّا كان الغد، مضى إليها، وقال لها: الموعد. فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار. فضحك وخرج الى مجلسه، وسأل عمنّ بالباب من شعراء الكوفة، فقيل له: مصعب[4] والرَقاشي[5]، وأبو نواس[6]. فأمر بهم، فدخلوا. فلمّا جلسوا بين يديه، قال:

---

(١) اعتكر: اشتدّ سواده.

(٢) دجّ: أظلم.

(٣) هو محمّد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (١٧٠ هـ - ١٩٨ هـ = ٧٨٧ - ٨١٣). بويع خليفة بعد أبيه، وعيّن أخاه المأمون والياً على خرسان، وما لبث أن خلعه فنشأ الخلاف بينهما ممّا أدى إلى قتله. كان شجاعاً، أديباً رقيق الشعر. (الزركلي. ج٧، ص١٢٧).

(٤) هو مصعب بن الحسين البصري (... - نحو ٢٥ هـ = ... - نحو ٨٦٥). شاعر من البصرة. كان وراقاً. (الزركلي ج٧، ص٥٤٧).

(٥) الرّقاشي هو الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي البصري (... - نحو ٢٠٠ هـ = ... - نحو ٨١). هو شاعر عباسي مجيد، فارسي الأصل - كان له مع أبي النواس مهاجاة. وكان خليعاً متهتّكاً. رثى البرامكة بعد نكبتهم. قال المبرّد: كان الفضل يظهر الغنى وهو فقير، ويظهر العزّ وهو ذليل، ويتكثّر وهو قليل، فكانت الشعراء تهجوه». (الزركلي ج٥ ،ص١٥).

(٦) أبو نواس: هو الحسن بن هاني (١٤٥ - ١٩٩ هـ = ٧٦٢ - ٨١٣). من شعراء العصر =

لِيَقُلْ كلٌّ واحد منكم شعراً يكون آخره: كلام الليل يمحوه النهار. فأنشأ الرقاشي يقول:

مَتى تَصْحُو وَقَلبُكَ مُسْتَطَارُ ... وقَدْ مُنِعَ القَرَارُ فَلاَ قَرَارُ
وَقَد تركَتْكَ صَبّا مُسْتَهَاماً ... فَتَاةٌ لا تَزُورُ وَلاَ تُزَارُ
إذا آستَنجَزْتَ مِنها الوَعْدَ قَالَتْ ... كَلاَمُ اللّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهَارُ

وقال مصعب:

أتَعْذِلني وَقَلْبي مُسْتَطَارُ ... كَئيبٌ لا يقِرُّ لَهُ قَرَارُ
بِحِبِّ مَليحَةٍ صادَتْ فُؤادي ... بألْحاظٍ يُخالطها آحورارُ
ولمّا أن مَدَدْتُ يَدي إليها ... لألْمَسَها بَدا مِنْها نِفَارُ
فَقُلتُ لها عِديني مِنْكِ وَعْداً ... فَقَالت: في غَدٍ مِنْكَ المَزارُ
فلَما جِئْتُ مقْتَضياً أجَابَتْ ... كَلاَمُ اللَّيْلِ يَمحُوهُ النها[رُ]

وقال أبو نواس:

وَخُودٍ أقْبَلَتْ في القصر سَكْرى ... وَلكِنْ زَيَّنَ السُّكْرَ الوَقَار
وَهَزَّ المَشْيُ أردافاً ثِقالاً ... وَغُصْنا فيه رُمّانٌ صِغَارُ
وَقَدْ سَقَطَ الرِّدا عن مِنْكَبَيْها ... مِنَ التَّجمِيش وآنحَلَّ الإزارُ[1]
فَقُلتُ: الوَعْدَ سَيِّدَتي فقالَتْ: ... كَلاَمُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النهارُ

مكافأة الرشيد

قال رَجُلٌ لهارون الرشيد: «إنّي أستطيعُ أنْ أقومَ بعَمَل يعجز عنه جميع الناس!» فقال له الرشيد: هاتِ ما عندك حتّى نرى! فأخرج علبة مليئة بالإبر، فغَرَسَ إحداها في الأرض، ثمّ أخَذَ يَرْميها بسائر الإبر، بحيث أنّ كلّ إبرة

= العباسي الأول. كان كان شاعر الأمين، ونديمه الخاص. قضى حياته في التهتّك والمجون. ويعتبر شاعر الخمرة بلا منازع.

(١) التجميش: المغازلة والمداعبة.

تَشْتَبِكُ بثقب الإبرة السابقة.

ولمّا انتهى من رَمْي الإبر، وَقَفَ الرجل مزهواً بعمله، منتظراً جائزة سَنِيّة. فأمر الرشيد بضربه مائة جَلْدَةٍ، وإعطائه مائة دينار...

ولمّا سُئِلَ الرشيد عن سبب هذا التصرّف قال: «أعْطَيْتُه مائة دينار مكافأة على حِذْقه ومهارته، وأمرتُ بضربه مائة جلدة لأنّه يضيّع ذكاءه بما لا يُفيد!».

مَنْ كنت أباه فهو يتيمٌ

كتبَ الخليفة المنصور إلى عامله أنْ يقسّم مالاً قد خصَّصه للقواعد مِنَ النساء، والعميان، والأيتام...

فقال أحدهم للعامل: «اكْتُبْني في القواعد». فأجابه العامل: وَيْحَكَ! إنّ القواعد هنّ النساء اللواتي لا أزواج لَهُنّ.

فقال: اكْتُبْني إذنْ في العميان!

فقال: اكْتُبُوه لأنّ اللهَ تعالى يقول: ﴿فإنّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ، ولٰكِنْ تَعْمَى القَلُوبُ التي في الصُّدورِ[1]﴾.

فقال: أرْجُوك أيضاً أنْ تكتب ابني في الأيتام.

فقال: حقّاً، مَنْ كُنْتَ أباه فهو يتيمٌ.

---

(١) الحج: ٤٦.

بلاغة أعرابيّ

قَدِمَ وَفْدٌ مِن الأعراب على الخليفة عمر بن عبد العزيز، فَٱنبَرَى شاب، وقال: «يا أمير المؤمنين! لقد أصابَتْنا سنون عجاف[١]: سنة أذابتِ الشحم، وسنة أَكَلَتِ اللحم، وسنة دقّت العظم، وفي أيديكم فضول، فإنْ كانَتْ لنا فَعَلامَ تَمْتَصّونها؟ وإنْ كانت لله فوزّعُوها على عباده، وإن كانت لكم فَتَصَدَّقوا بها علينا، فالله يجزي المتصدّقين».

فقال عمر: «والله ما ترك الأعرابي لنا عذراً في واحدة».

أبو دلامة والمهدي

دَخَلَ أبو دُلاَمة[٢] على المهدي[٣]، وأخذ يبكي. فقال له: ما لَكَ؟ قال: ماتت أمّ دُلامة. فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون. وأمر أن يُعطى ألف درهم، لِتُعِينَه في مصابه. فأخذها، وشكر، وانصرف. ولمّا وصل إلى منزله، قال لأمّ دُلامة: ٱذهبي وٱستأذني الخيزران[٤]، فإذا دَخَلْتِ تباكي، وقولي لها: إنّ أبا دُلامة قد مات. فمضت وٱستأذنت، ثمّ دنت، وأخذت تبكي، فقالت لها الخيزران: ما لك؟ قالت: ماتَ أبو دُلامة. فقالت إنّا لله وإنّا إليه راجعون!

---

(١) سنون عجاف: سنوات قحط، لم ينزل فيها مطر.

(٢) هو زنْد بن الجَوْن الأسدي (٠٠٠ - ١٦١ هـ = ٠٠٠ - ٧٧٨). شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة. كان الخلفاء يستلطفونه، ويغدقون عليه المال. كان متهتّكاً زنديقاً. (الزركلي. ج٣، ص٤٩ - ٥٠).

(٣) هو محمّد بن عبد الله المنصور بن محمّد بن علي العباس (١٢٧ - ١٦٩ هـ = ٧٤٤ - ٧٨٥). هو من خلفاء العباسيين. دام حكمه عشر سنوات وشهراً. مات صريعا عن دابته في الصيد. كان محمود السيرة، جواداً بنى جامع الرصافة. (الزركلي ج٦، ص ٢٢١).

(٤) الخيزران هي زوجة المهدي العباسي، وأم ابنيه: الهادي وهارون الرشيد. وكانت قبلاً جاريته.

أعظم الله أجرك! وَتَوَجَّعتُ لها، ثـم أمـرت لهـا بـألفي درهـم. فـدعـت، وشكرت، وانصرفتْ.

دَخل المهدي على الخيزران، فقالت: يا سيّدي! أما علمت أن أبا دُلامة قد مات؟ قال: لا، إنما آمرأته هي التي ماتت. قالت: لا والله إلاّ أبو دلامة! فقال: خرج من عندي الساعة آنفاً. فقالت: خرجت من عندي الساعة، وأخبرته بما حصل لها معها. فضحك، وتعجّب من حيلتهما.

الحيرة

دَخلتْ على المهدي جارية يُقال لها حسناء، ثم دَخلتْ عليه أخرى يقال لها ملكة. فقال: عند أيّكما أقيـل[1]؟ فقـالـت حسنـاء: إنّ الله تعـالـى يقـول: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئكَ المُقَرَّبُون[2]﴾. فقالت ملكة: لا تعجّل، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وللآخِرَةِ خيرٌ لَكَ مِنَ الأوْلَى[3]﴾. فقال المهدي: لو أنّ شريكاً القاضي حَضَرهما لم يقدر أن يقضيَ بينهما.

أحْسَنْتَ

رَمَى المتوكل[4] عصفوراً بالبندق، فلم يُصِبْه، فقـال ابـن حمـدون[5]:

(١) أقيل: أبيت.

(٢) الواقعة: ١٠ - ١١.

(٣) الضحى: ٤.

(٤) جعفر بن محمد بن هارون الرشيد (٢٠٦ هـ - ٢٤٧ هـ = ٨٢١ - ٨٦١). خليفة عباسيّ. كان جواداً محبّاً للعمران. هجاه بعض الشعراء لهدمه قبر الحسين وما حوله. وفي عهده كثرت الزلازل وعمّ الخراب. (الزركلي ج٢، ١٢٧).

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (... - نحو ٢٥٥ هـ = ... - نحو ٨٦٨). عالم =

أحسَنْت، يا أمير المؤمنين! فقال المتوكّل: أتَهْزأ بي، كيف أحسَنْتُ؟ قال: إلى العصفور الذي تركته.

= بالأدب والأخبار. كان خصيصا بالمتوكّل العباسي، نادمه مدة ١٤ سنة. (الزركلي. ج ١، ص ٨٥).

الفصل الثاني

من طرائف ونوادر
الأمراء والوزراء والقادة

الأخوّة الصالحة

جَرَى بين الحُسَين بن عليّ بن أبي طالب، وبين أخيه محمّد بن الحنفيَّة كلام. فَانْصَرَفَا متغاضِبين.

ولمّا وصل ابن الحنفيّة إلى منزله، أَخَذَ رقعة وكتب عليها: من محمّد بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه الحُسَين. أمّا بعد، فإنّ لك شرفاً لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت خطابي هذا، فَالْبَسْ رداءك، وسِرْ إليّ وترضّني وإيّاك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به منّي. فلمّا قرأ الحسين الخطاب لبس رداءه، وقَصَد أخاه، وترضّاه.

جعفر الصادق وغلامه

رُوِيَ أنّ غلاماً وقف يصبُّ الماءَ على يَدَيْ جعفر الصادق[1] فوقع الإبريقُ من يدِ الغلام في الطست[2]، فطار الرشاشُ[3] في وجهه، فنظر جعفر إليه

---

(١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي الملقّب بالصادق لأنّه لم يكذب قط. (٨٠ - ١٤٨ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥) وهو سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. له أخبار كثيرة مع الخلفاء العبّاسيين، وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق. (الزركلي. ج ٢، ص ١٢٦)

(٢) الطست: إناء من نحاس لغسل اليَدَين.

(٣) الرشاش: نقط من الماء أو غيره.

مُغْضَباً فقال الغلام: يا مولاي، ﴿والكاظِمِين الغَيظ[١]﴾. قال: قد كَظَمتُ غيظي. قال: ﴿والعافين عَنِ النَّاس[٢]﴾. قال: قد عَفَوْتُ عنك. قال: ﴿واللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ[٣]﴾. قال: اذْهَبْ، فأنتَ حرٌّ لوجه اللّهِ تَعالى.

الأبشيهي: المستطرف. ١/٢٦٠

عطف الوالي

أمَرَ والٍ عَلى رجل جَنَى جناية بضرب رأسه. فلمّا مُدَّ، قال: «بِحَقّ رأس أمّك إلاّ عَفَوْتَ عنّي». قال الوالي للجلاّد: أوجعْ. فقال الجاني: بحقّ خَدَّيها ونَحْرِها[٤]. قال الوالي: اَضْرِبْ. قال الجاني: بحقّ ثَدْيَيْها. قال الوالي اَضْرِبْ. قال الجاني: بحقّ سُرَّتها[٥]. قال الوالي: وَيْلَكُمْ، دَعُوهُ لا ينحدِرْ قليلاً!

الجاحظ: المحاسن والأضداد. ص ٢٦

المغيرة بن شعبة وغلام من بني الحارث

قال المغيرة بن شعبة[٦]: ما خَدَعني قطّ غير غلام من بني الحارث بن كعب؛ فإنّي ذَكَرْتُ امرأة منهم، وعندي شابٌّ من بني الحارث، فقال:

- أيّها الأمير، إنّه لا خير لَكَ فيها.

---

(١) (٢) (٣) آل عمران: ١٣٤

(٤) النحر: أعلى الصدر.

(٥) السرّة: التجويف الصغير في وسط البطن، أو منفذ الغذاء إلى الجنين.

(٦) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي (٢٠ ق هـ - ٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠). أحد دهاة العرب. وهو أوّل من وضع ديوان البصرة. قال الشعبي: «دهاة العرب أربعة: معاوية للأناة، عمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير». (الزركلي. ج ٧، ص ٢٧٧).

فسألته:

- ولِمَ تقول ذلك؟

أجاب:

- رأيت رجلاً يُقبّلُها.

فأقمت أيّاماً، ثمّ بلغني أنّ الفتى تزوّج بها، فأرْسلت إليه، فقلت: ألَمْ تُعْلِمْني أنّك رأيت رجلاً يقبّلها؟

- بلى، رأيت أباها يقبّلها.

ويخلص المغيرة إلى القول:

فإذا ذكرت الفتى، وما صنع، غمّني ذلك كثيراً.

الخصم العنيد

دَخَلَ رجل على عليّ بن سليمان[1] الوزير، فقال له:

- سألتك باللّه العظيم، ونبيّه الكريم، أن تجيرني من خصمي؟

- ومن خصمك؟

- الفقر يا سيّدي!

فأعطاه مئة ألف درهم.

ولمّا أخذها الرجل، وآنصرف شاكراً، أمر الوزير بردّه إليه. فلمّا رجع قال له:

- سألتك باللّه العظيم، وبنبيّه الكريم، متى أتاك خصمك مُعَنِّفاً فارجعْ إليّ متظلّماً.

---

(١) هو علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عبّاس الهاشمي العباسي (... - ١٧٨ هـ = ... ٧٩٤). أمير من الولاة، كان حسن السيرة، ولاّه الهادي على مصر، وأقرّه الرشيد عليها، ثم عزله بعد أن عرف طمعه بالخلافة. (الزركلي ج ٤، ص ٢٩١)

الفتى من يقول ها أنذا

قال أحدهم: كنت ليلة جالساً عند بعض ولاة شرطة الليل، فجيء بِرَجُلَين. فسأل الوالي أحدهما: من أبوك؟ فأجاب:

أنا ٱبْنُ الذي لا يَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ   وإنْ نَزَلَتْ يوماً فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أفْواجاً على بابِ دَارِهِ   فمِنْهُمْ قِيَمٌ حَوْلها وَقُعُودُ

فقال الوالي: إنّ أباه كريم مضياف. ثمّ قال للآخر: من أبوك؟ فقال:

أنا ٱبْنُ مَنْ ذَلَّتِ الرِّقَابُ لَه   ما بَيْنَ مَخْزُومِها وَهَاشِمِها
خاضِعَةً أذْعَنَتْ لِطَاعَتِهِ   يأخُذُ مِنْ مالِهَا ومِنْ دَمِها

فقال الوالي: وما أبوه إلاّ شجاعٌ مقدام. ثمّ عفا عنهما. ولمّا ٱنصرفا، قلت للوالي: أمّا الأوّل فكان أبوه فوّالاً، وأمّا الثاني فكان أبوه حَجّاماً[1]. عندئذ قال الوالي:

كُنِ ٱبْنَ مَنْ شئت وٱكْتَسِبْ أدباً   يُغْنِكَ مَضْمُونُهُ عَنِ النَّسَبِ
إنّ الفتى مَنْ يَقُولُ ها أنذا   لَيْسَ الفَتَى مَنْ يَقُولُ كان أبي.

عزّة نفس وإباء

دَخَلَ عُمَارة بن حمزة[2] يوماً على المنصور[3]. فقام رجل، وقال:

(١) الحجّام: من يتعاطى المداواة والمعالجة بكؤوس تفرّغ من الهواء بإشعال ورقة في داخلها.

(٢) عُمارة بن حمزة بن ميمون من ولد عكرمة مولى ابن عبّاس (... - ١٩٩ هـ = ... - ٨١٤). كاتب من الولاة الأجواد. كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان من قدره. وكان من الدهاة، وفيه يضرب المثل في التيه «أتيه من عُمارة» (الزركلي. ج ٥، ص ٣٦)

(٣) هو عبد الله بن محمّد بن علي بن العباس أبو جعفر المنصور (٩٥ هـ - ١٥٨ هـ = ٧١٤ - ٧٧٥) ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدماً بالفلسفة، محبّاً للعلماء. (الزركلي. ج ٤، ص ١١٧).

ـ أنا مظلوم يا أمير المؤمنين!

ـ مَنْ ظلمك؟

ـ عمارة بن حمزة، غَصَبَني ضَيْعَتِي.

ـ قمْ فَاَقْعُدْ مع خصمك يا عمارة!

فقال عمارة: ما هو لي بِخَصْم. إنْ كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها. وإن كانت لي فقد وهبتها له. ولا أقوم من مقامٍ شرّفني به أمير المؤمنين، وأقعد في مقام أدنى منه لأجل ضيعة.

العابدي: أنيس الجليس. ص ٢٨

أبان والأعرابيّ

كان أبَانُ بنُ عُثْمان[١] من أهْزَل الناس، وأوْلَعِهم بالمُزاح. فأَقْبَلَ، يوماً، أعرابيّ يَتَلَظَّى[٢] وكأنّه أفعى، والشرُّ بَيِّنٌ في وجهه، ما يدنو منه أحد إلاّ شتمه ونَهَرَه. وكان معه جَمَل. فقال أبان: «هذا واللّهِ من البابة[٣]، اَدْعوه لي، فَدَعَوه له. فَأَتَاه، فسلّم عليه. فسأله أبان عن نَسَبه، فَانْتَسَب له. فقال له أبان: «حيّاك اللّه يا خال! اجلِسْ». فجلس. فقال له: «إنّي أطلب جملاً مثل جَمَلِك هذا منذ زمان، فلم أجِدْه، كما أشْتهي، بهذه الصفة، وهذه الهامة والصورة والوَرِك[٤] والأخفاف... والحمد للّه الذي جَعَلَ ظَفَري به عند مَن أحِبُّه. أتَبِيعُنيه؟» فقال: «نعم أيّها الأمير.» قال: «فإنّي قد بذلت لك مئة

(١) أبان بن عثمان بن عفّان الأموي (... ـ ١٠٥ هـ = ... ـ ٧٢٣). أحد فقهاء المدينة، وأوّل من كتب في السيرة النبويّة. شارك في وقعة الجمل مع عائشة. (الزركلي. ج ١، ص ٢٧).

(٢) تلظّت الحية من السم: تحرّكت.

(٣) البابة: اسم بلدة.

(٤) الورك: ما فوق الفخذ.

دينار.» فطمع، الأعرابيّ وسُرَّ، وانتفخ، وَبَانَ الطمع في وجهه.

فقال أبان لأشعب، وقد كان حاضراً: «وَيْلَك يا أشعب[١]! إنَّ خالي هذا من أهلك وأقاربك (يعني في الطمع)، فأوسعْ له مِمّا عندك.» فقال: «نعم بأبي أنت، وزيادة.» فقال له أبان: «يا خال! إنّما زِدْتُك في الثمن على بصيرة أنّ الجمل لا يساوي ستّين ديناراً، ولكنّي بَذَلْتُ[٢] لك مئة دينار لِقلة النقد عندنا، وإنّي أعطيك عُرُوضاً[٣] تساوي مئة دينار.» فزاد طمع الأعرابي، وقال: «قد قَبِلْت أيّها الأمير».

وأسرَّ[٤] أبان إلى أشعب، فأخرج شيئاً مغطّى، فقال له: «أخْرِجْ ما جئت به.» فأخرج جِرْد[٥] عمامة تساوي أربعة دراهم، فقال له: «قَوِّمها[٦] يا أشعب!» فقال: «عمامة الأمير، يشهد فيها الأعياد والجُمَع، ويَلْقَى فيها الخلفاء! خمسون ديناراً.» قال: «ضَعْها بين يَدَيه.» وأشار إلى كاتبه قائلاً. «أثْبِتْ قيمتها.» وَوُضِعَتِ العمامة بين يَدَي الأعرابي فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدِرْ على الكلام. قال أبان: «هاتِ قَلَنْسُوَتي[٧]». فأخرج أشعب قَلَنْسُوَة طويلة خَلَقاً، قد عَلاَها الوسخ والدهن وتخرّقت[٨]، تساوي نصف درهم. قال: «قوّم». فقال: «قَلَنْسُوةُ الأمير تعلو هامته، ويُصلّي فيها الصلوات الخمس، ويجلِس فيها للحكم! ثلاثون ديناراً.» فَالْتَفَتَ أبان إلى الكاتب، وقال له: «أثْبتْ». وَوُضِعت القَلَنْسوة بين يَدَي الأعرابيّ، فَتَربَّد[٩]

---

(١) راجع ترجمته في الفصل السادس.

(٢) بذلت: منحت.

(٣) عروضاً: أمتعة.

(٤) أسرّ: كلّمه سرّاً.

(٥) جرد عمامة: عمامة بالية.

(٦) قوّمها: أعطها قيمة.

(٧) القلنسوة: نوع من ملابس الرأس.

(٨) تخرّقت: تمزّقت.

(٩) تربّد: تغيّر.

وجهه، وجَحَظَت[١] عيناه، وهمّ بالوثوب، ثمّ تماسك وهو مُقَلْقَلٌ[٢].

ثمّ قال لأشعب: «هاتِ ما عندك.» فأخرج خُفَّين خَلَقين قد نُقِبا[٣] وتقشّرا، وتفتّتا. فقال: «قوِّمْ.» فقال: «خُفّا الأمير يَطَأ بهما الروضة[٤] ويَعْلُو بهما منبر النبيّ! أربعون ديناراً.» فقال: «ضعْهما بين يَدَيه.» ثمّ قال للأعرابي: «اَضْمُمْ إليك مَتَاعك.» وقال لبعض الأعوان: «اَمْضِ مع الأعرابيّ، واَقْبِضْ ما بَقِيَ لنا عليه من ثَمَنِ المتاع، وهو عشرون ديناراً.»

فَوَثَبَ الأعرابيّ، فأخذ القُماش[٥] فضرب به وجوه القوم، لا يَألُو[٦] في شدّة الرمي، ثمّ قال له: «أتَدْري في أيّ شيء أموت؟» قال: «لا». قال: «كيف لا أدْرَكْتُ أباك عثمان فأُشْرَك، واللّهِ، في دمه، إذْ وَلَدَ مثلك؟» ثمّ نَهَضَ كالمجنون حتّى أخذ برأس بعيره، وضحِك أبان حتى سقط، وضحِك مَنْ كان معه.

النويري: نهاية الأرب

القرين السيّء

كان الفضل بن الربيع[٧] جميل المنظر، خفيف الظلّ والروح، وكان الفرج الرّخجيّ دميماً قبيحاً. وبينما كانا يتجوّلان في مكة أبصرا اَمرأة حسناء، فسألها الفضل: «ألك زوج؟» أجابت: «لا». فقال: «أتَرْغَبِين في زوج من

---

(١) جحظت عيناه: برزتا، نتأتا.

(٢) مقلقل: مضطرب.

(٣) الخَلَق: العتيق البالي. نقب الخف: مزّق ورُقّع.

(٤) الروضة: هنا ما بين بيت النبيّ ومنبر المدينة.

(٥) القماش: المتاع.

(٦) يألو: يقصّر.

(٧) الفضل بن الربيع بن يونس (١٣٨هـ - ٢٠٨ هـ = ٧٥٥ - ٨٢٤). هو وزير، أديب، حازم. كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي. وكان وزيراً للرشيد ثم الأمين وعمل على مقاومة المأمون. ولما انتصر المأمون استتر. (الزركلي. ج٥، ص١٤٨).

أصحاب أمير المؤمنين؟» قالت: «ومن يكون؟» فأشار الفضل إلى الفرج. فقالت: «أتقرأ كتابَ الله؟» قال: «نعم». قالت: «أتؤمن به؟» قال: «نعم!» قالت: فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيطَانَ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾[1].

فضحك الفضل؛ ولمّا دخل على الرشيد، أخبره بالأمر، فأمر بإحضارها. ولمّا أُعْجِب بها تزوّجها.

زيد بن علي وهشام بن عبد الملك

دَخَلَ زيد بن علي بن الحُسَين بن علي بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك بنَ مروان، فلم يوسّع له أحد في المجلس، ولم يَرَ لنفسه موضعاً يجلس فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس لأحد إلاّ وله من مجلسك موضع. فقال له هشام: «اجلسْ حيث انتهى بك المجلس، لا أمّ لك! أنت الذي تُنَازعك نفسك الخلافة، وأنت ابن أمَة!» فقال زيد: يا أمير المؤمنين، إنّ الأمّهات لا يَقْعُدْن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أمّ إسماعيل أمَة، فلم يمنعه ذلك من أن ٱبْتَعَثَه الله نبيّاً، وأخرج من صلبه محمّداً (ص). وكان إسحاق أمّه ساره حرّة. وقد مسخ الله بعض ولده قردة وخنازير.

حدائق الأزاهر: ص ٤٨

---

(١) النساء: ٣٨.

أتدرون ما أريد أن أقول لكم

صعِد أبو العَنْبَس[1] منبراً من منابر الطائف، فَحَمَدَ اللّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد..... فأُرْتِجَ عليه (لم يستطعِ التكلّم) فقال: «أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟». قالوا: «لا». قال: «فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم». ثمّ نزل.

فلمّا كان في الجمعة الثانية، صعِد المنبر، وقال: أمّا بعد..... فأرتج عليه. قال: «أتدرون ما أريد أن أقول لكم»؟ قالوا: «نعم». قال: «فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم»، ثمّ نزل.

فلمّا كانت الجمعة الثالثة، قال: أمّا بعد..... فأرتج عليه، قال: «أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟» قالوا: «بعضنا يدري، وبعضنا الآخر لا يدري». قال: فَلْيُخْبِرِ الذي يدري منكم الذي لا يدري». ثمّ نزل.

العقد الفريد ج ٤، ص ١٤٨.

هند والحجّاج

وُصِفَتْ هِنْدٌ بنت النعمان[2] للحجّاج[3]، فأرسل إليها يخطبها، وأجزل لها مالاً وفيراً، وتزوّج بها، وَشَرَطَ لها عليه بعد الصّداق[4] مئتي ألف درهم. ثمّ

(١) محمد بن إسحق بن إبراهيم الصَّيْمَري (... - ٢٧٥ هـ = ... - ٨٨٨) هو نديم المتوكّل والمعتمد العباسيَّين. كان أديباً ظريفاً، عالماً بالنجوم وشاعراً هجّاءً. له مناظرة مع البحتري. (الزركلي ج٦، ص٢٨).

(٢) هند بنت النعمان بن المنذر بن آمرىء القيس اللخميّة (... نحو ٧٤ هـ = ... نحو ٦٩٣). امرأة نبيلة فصيحة، أعجب الكثيرون بلسانها وحسن حديثها. (الزركلي ج٨، ص٩٩).

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ هـ - ٩٥ هـ = ٦٦٠ - ٧١٤). خطيب، سفّاك وقائد داهية. عمل في الشرطة في عهد عبد الملك بن مروان، ثم أصبح قائداً للجيش. ثم عين والياً على العراق بعد أن أخمد الثورة فيها. (الزركلي. ج٢، ص١٦٨).

(٤) الصداق: المهر المؤجّل.

دخل عليها في بعض الأيّام، وهي تنظر في المرآة، وتقول:

وَمَا هِنْدُ إلاّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بَغْلُ
فَإنْ وَلَدَتْ فَحْلاً فَلِلّهِ دَرُّهَا وإنْ وَلَدَتْ بَغْلاً فَقَدْ جاء به البَغْلُ.

فانْصَرَفَ الحجّاج راجعاً، ولم يدخل عليها، ولم تكن عَلِمَتْ به، فأراد الحجّاج طلاقها، وأرسل إليها عبد اللّه بن طاهر[1]، ومعه مائتي ألف درهم، وهي التي كانت عليه، وقال: يا بْنَ طاهر طلّقْها بكلمتين ولا تزدْ عليهما. فدخل عبد اللّه بن طاهر عليها، فقال: يقول لك أبو محمّد الحجّاج: كُنْتِ فَبِنْتِ[2]. وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لكِ قِبَلَهُ[3]. فقالت: اعلم يا بْنَ طاهر، إنّا واللّه، كنّا فما حمدنا، وبنّا[4] فما ندمنا. وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف.

فبلغ بعد ذلك عبد الملك بن مروان[5] خبرها، ووُصِف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها؛ فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء: اعلمْ، يا أمير المؤمنين، أنّ الإناء وَلَغَ[6] فيه الكلب. فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها، وكتب إليها يقول: إذا وَلَغَ الكلب في إناء أحدكم فَلْيَغْسِلْهُ سبعاً إحداهنّ بالتراب، فآغسلي الإناء يحلّ الاستعمال.

فلمّا قرأت كتاب عبد الملك لم يمكنها المخالفة، فكتبت إليه بعد الثناء عليه: يا أمير المؤمنين، واللّه لا أُحِلّ العقد إلاّ بشرط، فإن قلتَ ما هو الشرط قلتُ: أن يقود الحجّاج مَحْمَلي من المعرّة إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب (١٨٢ هـ ـ ٢٣٠ هـ = ٧٩٨ ـ ٨٤٤ م) هو أمير خراسان ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. قال فيه ابن الأثير: «كان عبد الله من أكثر الناس بذلاً للمال مع علم ومعرفة وتجربة». (الزركلي. ج٤، ص٩٣).

(٢) كنت فبنت: أي كُنْتِ زوجة وأصبحتِ طالقة.

(٣) قِبَله: أي في ذمّته.

(٤) بنّا: ابتعدنا وافترقنا.

(٥) راجع ترجمته في الباب الأوّل.

(٦) وَلَغَ: لعق.

ماشياً حافياً بحِلْيَتِهِ التي كان فيها أوّلاً. فلمّا قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً، وأنفذ إلى الحجّاج، وأمره بذلك. فلمّا قرأ الحجّاج رسالة عبد الملك، أجاب وامتثل الأمر، ولم يخالف. وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهّز، فتجهّزت، وسار الحجّاج في موكبه حتى وصل إلى المعرّة، بلد هند. فركبت هند في محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجّاج بزمام البعير يقوده ويسير بها. فجعلت هند تتواغد[1] عليه، وتضحك مع الهيفاء دايتها[2]، ثم قالت للهيفاء: يا داية، اكشفي لي سِجْفَ[3]المحمل. فَكَشَفَتْه، فوقع وجهها في وجه الحجّاج، فضحكت عليه، فأنشد يقول:

فإنْ تَضْحَكِي مِنّي فيا طُولَ لَيْلَةٍ ... تَرَكْتُكِ فيها كالقَباءِ المُفَرَّجِ[4]

فأجابته هند:

وما نُبالي إذا أرْواحُنا سَلِمَتْ ... بما فَقَدْناهُ مِنْ مالٍ ومِنْ نَشَبِ[5]
فالمالُ مُكْتَسَبٌ والعِزُّ مُرْتَجَعٌ ... إذا النُّفُوسُ وَقَاها اللّهُ من عَطَبِ[6].

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد عبد الملك، فرمَتْ بدينار على الأرض، ونادَتْ: يا جمّال، إنّه قد سقط منّا درهم، فارفعه إلينا. فنظر الحجّاج إلى الأرض فلم يجد إلاّ ديناراً فقال: إنّما هو دينار. فقالت: بل هو درهم، قال: بل دينار. فقالت: الحمد للّه سقط منّا درهم، فعَوَّضنا اللّه ديناراً. فخجل الحجّاج، وسكت ولم يردّ جواباً. ثمّ دَخَلَ بها على عبد الملك بن مروان، فتزوّج بها.

كحالة: إعلام النساء ٥٠/٢٥٦

---

(١) تتواغد: تتثاقل وتتحامق.
(٢) الداية: الجارية أو الخادمة.
(٣) السجف: الغطاء.
(٤) القباء المفرّج: الثوب الممزّق أو المشقّق.
(٥) النشب: الأموال غير المنقولة.
(٦) العطب: الموت والهلاك.

هذا من فضل الأمير

أَخْرَجَ الحجّاج رجلاً من سجنه ليعاقبه، فقال له: سَمِنْتَ يا غضبان! قال: الرفد والرفعة والخفض والدّعة، ومَن يكن ضيف أمير المؤمنين يسمن! قال لأحملنّك على الأدهم! قال: مثل الأمير، أعزّه الله، يُحْمَلُ على الأدهم والورد والكُميت! قال: إنّه حديد! قال: لئن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً. قال: اَضْرِبُوا به الأرض. قال: ﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ وفيها نُعِيدُكم[1]﴾ قال: جرُّوه. قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا[2]﴾. قال اجعلوه على الأيدي. فلما حُمِل قال: ﴿سُبْحَان الذي سَخَّرَ لَنَا هذا وما كنّا له مُقْرِنِين[3]﴾. فضحك الحجّاج، وقال: غلبنا هذا الخبيث، حلّوه إلى صفحي عنه. فقال: ﴿فاَصْفَحْ عَنْهُم وَقُلْ: سَلاَمٌ[4]﴾.

الأمير والطحّان

وَقَفَ أمير بباب طحّان، فنظر إلى حمار له يدوّر الرّحى، وفي عُنُقه جُلْجُل[5]، فقال للطحّان: لمَ جعلت الجُلْجُلَ في عنق حمارك؟ قال: ربّما تدركه سآمة أو نعاس، فإذا لم أسمع صوت الجلجل علِمت أنه واقف، فَصِحْتُ به! قال: أرأيت إنْ وَقَفَ، وحرّك رأسه بالجُلْجُل؟ قال: ومَنْ لي بحمار يكون له مِثْل عقل الأمير.

حدائق الأزاهر. ص ٨٧

---

(١) طه: ٥٥.

(٢) هود: ٤١.

(٣) الزخرف: ١٣.

(٤) الزخرف: ٨٩.

(٥) الجلجل: أجراس صغيرة.

مجنون بني عجل

التقى الحجّاج في أثناء نزهته شيخاً من بني عجل، فقال له:

ـ من أين أنت، أيّها الشيخ؟

ـ من هذه القرية!

ـ كيف تَرَون عمّالكم (أي موظّفي الدولة)؟

ـ شرّ الخلق، يظلمون الناس ويدّعون التقوى، وَيَسْتَحِلُّون أموالهم باسم الدين

ـ وما رأيك بالحجّاج؟

ـ قبّحه اللّه، وقبّح من استعمله.

ـ أتعرف من أنا؟

ـ لا!

ـ أنا الحجّاج!

فَٱرْتَعَدَ الشيخ، واسْتَدْرَك قائلاً:

ـ وأنت تعرف من أنا؟

ـ لا!

ـ إذن، فاعلم أنا مجنون من بني عجل، أُصَابُ بالصّرع كلّ يوم مرّة في مثل هذه الساعة بالذات.

فضحك الحجاج وأَمَرَ له بِصِلَة.

حلاوة الآباء

دَخَلَ رجل من الهاشميين على المنصور، فقال له المنصور: متى مات أبوك؟ وما كان سبب موته؟

فقال الهاشمي: «لقد اعتلّ أبي، رحمه الله، في وقت كذا، وخلّف رحمه الله، كذا...». فقال له الربيع: كم تَتَرحَّم على أبيك بين يَدَي أمير المؤمنين؟ فقال الهاشمي: لا ألومك، فإنّك لا تعرف حلاوة الآباء! (وكان الربيع يُرمى بأنّه لا يُعرف له أب).

حدائق الأزاهر. ص ٥٤ ـ ٥٥

إجلال صورة الملك

كان السمك عزيزاً في زمان كسرى، فجاءه صيّاد بسمكة زنتها ثمانية أرطال، فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقالت له جاريته: تُعطي في ثمانية أرطال من سمك أربعة آلاف درهم؟! قال: فردّيه! فأمرت بردّه فقالت له: سمكتك هذه ذكر هي أم أنثى؟ طمعاً في أن يقول لها: ذكر، فتقول أنثى نريد، أو يقول: أنثى فتقول: ذكراً نريد. ففطن الصياد فقال لها: هي خُنْثى لا ذكر ولا أنثى! فقال كسرى: زيدوه أربعة آلاف درهم أخرى. فقبض الصياد المال وانْصَرَف، فسقط منه درهم، فأكبّ[1] عليه وأخذه، فقالت له الجارية: انظر خساسته، وسوء أدبه، أعطيته ثمانية آلاف درهم، وأكبّ بحضرتك لأخذ درهم! فأمر كسرى بردّه، فقال: لِمَ أسأت الأدب؟ فقال: كان على الدرهم صورة الملك، فأجللته أن يقع على الأرض! فقال كسرى: أعطوه أربعة آلاف درهم. ثم قال: هذا ما يجري من النساء.

حدائق الأزاهر: ص ١٠٨

---

(١) أكبّ: انحنى.

هُدِيتَ يا رجل

خَرَجَ الحجّاج يوماً إلى الصيد، ولمّا حان وَقْتُ غدائه، قال الحجّاج لأعرابيّ كان بقربه: «تعالَ، تغدّ معي!» قال الأعرابيّ: «لقد دعاني مَنْ هو خَيْرٌ منك، فأجَبْتُهُ!»

قال الحجّاج: «ومَنْ هذا الذي دعاك؟»

قال الأعرابيّ: «اللهُ تعالى... دعاني للصوم، فهَا أنا صائم!»

قال الحجّاج: «وفي هذا اليوم الحارّ؟!»

قال الأعرابيّ: «نعم، صمت ليوم أشدّ منه حرارة».

قال الحجّاج: «ولكنّه طعام طيّب!»

قال الأعرابيّ: «لم يُطَيِّبْهُ طاهيك؛ ولكن طيّبته العافية!»

قال الحجّاج: «افطر اليوم، وصُمْ غداً».

قال: «وتضمن لي البقاء إلى الغد!»

قال: «ليس ذلك في قدرتي».

قال: «فكيف تطلب منّي عاجلاً في يدي، لتعطيني آجلاً لا تستطيع ضمانته؟»

قال الحجّاج: هُدِيتَ يا رجل.

الفصل الثالث

من نوادر وطرائف
الفقهاء والقضاة

حكمة ودهاء

نظر رجلٌ إلى امرأته وهي صاعدة في السلّم، فقال لها: أنتِ طالِقٌ إنْ صَعِدْتِ، وطالِقٌ إنْ نزلتِ، وطالِقٌ إنْ وقَفْتِ. فَرَمَتْ بنفسها على الأرض. فقال لها: فِداكِ أبي وأمّي. إنْ مات الإمام مالِك[1]، احتاجَ إليك أهلُ المدينة[2] في أحكامهم.

الابشيهي. المستطرف. ١/٢٧

ميت يقضي بين الأحياء

تقدّمت امرأة إلى قاضٍ، فقال لها: جامَعَكِ شُهودُكِ، فَسَكَتَتْ. فقال كاتبُه: إنّ القاضي يقول لكِ: جاء شهودُك مَعَكِ؟ قالت نعم. هلاّ قُلْتَ مثل ما قال كاتبُك، كَبُرَ سنّك، وقلّ عقلك، وعظُمَتْ لِحْيَتُك حتّى غطّت على لبِّك، ما رأيتُ مَيْتاً يقضي بين الأحياء غيرك.

الأبشيهي: المستطرف. ١/١٣٥

---

(١) هو مالك بن أنس. راجع ترجمته في الباب الأوّل.

(٢) المدينة: أي المدينة المنوّرة.

مصحف الجيران

ساق رجلٌ ولده إلى القاضي، قائلاً: مولاي، إنّ ولدي هذا يشرب الخمر، ولا يصلّي؛ ولما أنكر الولد، قال الوالد: أفتكون صلاة بغير قراءة؟ فأجاب الولد: إنّي أقرأ القرآن. فقال له القاضي: اقرأ حتى أسمع. فقال:

عَلِقَ القَلْبُ الرَّبَابَا بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا
إنَّ دينَ اللهِ حقٌّ لا أرى فيه ارْتِيَابَا

فقال أبوه: إنّه لم يحفظ هذا إلاّ البارحة، عندما سرق مصحف الجيران، فقال القاضي: وأنا الآخر أحفظ آية، وهي:

فَارْحمي مُضْنًى كَئِيباً قَدْ رَأى الهَجْرَ عَذَابَا

ثمَّ قال: قاتلكم اللهُ، يعلم أَحَدُكُمُ القرآن ولا يعمل به.

حكمة إياس بن معاوية

قال رجل للقاضي إياس[١] بن معاوية: لو أكلتُ التمرَ تضربني؟ قال: لا. قال: لو شربْتُ قِدْراً من الماءِ تضربني؟ قال: لا. قال: شراب التمر (النبيذ) أخلاط منها، فكيف يكون حراماً؟ قال إياس: لو رَمَيْتُك بالتراب أيُوجعُ؟ قال: لا. قال: لو صَبَبْتُ عليك قِدْراً من الماء، أَيَنْكَسِرُ عضوٌ منك؟ قال: لا. قال: لو صَنَعْتُ من الماء والتراب طُوباً[٢] فجفَّ في الشمس، فَضَرَبْتُ به رأسَك، كيف يكونُ؟ قال: ينكسر الرأس. قال إياس: ذاك مثل هذا.

(.....)

---

(١) إياس بن معاوية بن قرة المزني (٤٦ هـ - ١٢٢ هـ = ٦٦٦ - ٧٤٠). كان قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. قال فيه الجاحظ: إياس من مفاخر مضر، ومن مقدمي القضاة، وكان صادق الحدس، نقاباً، عجيب الفراسة، ملهماً، وجيهاً عند الخلفاء. (الزركلي. ج ٢، ص ٣٣).

(٢) الطوب: الآجر، القرميد.

سحر الجمال

حُكِمَ على رجل كان قد تخاصَمَ وزوجته لدى الشَّعْبِيّ. ولدى خروج الزوجة، مرّت بالمتوكّل الليثي[٢]، فقال:

فُتِـــنَ الشَّعْبِـــيُّ لَمَّـــا رَفَـــعَ الطَّـــرْفَ إلَيْهـــا
فَتَنَتْـــــهُ بِبَنَـــــان حِيـــنَ مَـــدَّتْ مِعْصَمَيْهـــا
فقضـى جـوراً علـى الخَـصْـ ـمِ ولـم يَقْـضِ عَلَيْهـا
كَيْـفَ لـو أبْصَـرَ مِنْهـا نَحْـرَهـا أو سَـاعِـدَيْهـا
لَصَبَـا حَتَّـى تَـرَاه سَـاجِـداً بيـن يَـدَيْهـا

فلاقت هذه المقطوعة رواجاً بين الناس، ممّا حمل القاضي الشَّعْبيّ على الاستعفاء من القضاء.

إن اشتهيته فَكُلْهُ

دَخَلَ رجلٌ على الشَّعْبيّ، ومعه امرأة في البيت، فقال: أيكُم الشعبي؟ فقال الشَّعْبيّ: هذه! وسئل الشَّعْبِيُّ عن لحم الشيطان، فقال: نحن نَرْضى منه الكفاف؛ قال: فما تقول في الذبان؟ قال: إنِ آشْتَهَيْتَهُ فَكُلْهُ.

(العقد الفريد. ج٦، ص١٥٢).

---

(١) هو عبد الرحمن بن قاسم الشعبي (... - ٤٩٩ = ... - ١١٠٦)، أبو المطرّف. قاضي مالقة بالأندلس. كانت تدور عليه الفتيا بقطره أيام حياته، وكان يذهب إلى الاجتهاد (الزركلي. ج٣، ص٣٢٣)

(٢) المتوكّل بن عبد الله بن نهشل الليثي (؟) من شعراء الحماسة. يقول الآمدي إنه صاحب البيت المشهور:

لا تَنْهَ عَـن خُلُـقٍ وتَـأْتـيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عليـك إذا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ

(الزركلي. ج٥، ص٢٧٥).

إبهام الرِّجْل!

قال الشَّعْبيّ: قال النبيّ (ص): تَسَحَّرُوا ولو أن يضع أحدكم إصبعه على التراب، ثم يَضَعُه في فيهِ[1]. فقال أحد الحاضرين: «أيّ الأصابع؟ فتناول الشَّعْبيّ إبهام رِجْلِه، وقال: هذه!».

ابن الجوزي: أخبار الظرّاف. ص٢٦.

شتيمة في رمضان

دَخَلَ رجُلٌ على الشَّعْبيّ، وقال له: ما تقول، أصْلَحَكَ اللهُ، في رجل شَتَمَني أوّل يوم من رمضان، هل يؤجَرُ؟

قال: إنْ قال لك يا أحمق فإنّي أرجو له.

العقد الفريد: ج٦، ص١٥٢.

المرأة العرجاء

جاء رجلٌ إلى الشَّعْبيّ وقال: إنّي تزوّجتُ آمرأة وجدتها عَرْجَاء، فَهَلْ لي أنْ أرُدَّها؟ فقال له: «إنْ كنت تريد أنْ تسابق بها فردَّها».

العاملي: الكشكول. ص٢١٨.

(١) فيه: فمه.

ما أخذته منّي بالاسم اسْتَرْجَعْتُهُ منك بالكنية

احْتَكَمَ شخصان إلى قاضٍ، وكان اسم أحدهما عليّ، والآخر معاوية. فانْحَنَى القاضي على معاوية، فضربه مائة سوط من غير دليل يوجب عِقابه. فَفَطِنَ معاوية من أين جاءَهُ البلاء، فقال للقاضي: أصْلَحَكَ اللهُ! سَلْ خصمي عن كُنْيَتِهِ! فإذا هو أبو عبد الرحمن - وهي كُنْيَةُ معاوية بن أبي سفيان - فَبَطَحَهُ وضَرَبه مائة سوط. فقال لصاحبه: ما أخذتَه منّي بالاسم آسْتَرْجَعْته مِنْكَ بالكُنْيَةِ.

ابن ابي الحديد: الشرح. ج١٩، ص٣٧.

عبد الرحمن بن عمار والجارية

كان عبد الرحمن بن أبي عمّار، فقيه أهل الحجاز، قد مرّ بنخّاس معه فتيات، فنظر إليهن، فتعلّق بإحداهن، واشتدّ وجده بها، واشتهر بذكرها حتى أتى إليه مَنْ يعذله[1]، فلم يكن جوابه إلاّ أن قال:

يَلُومُنِي فيكِ أقْوامٌ أجالِسُهُمْ فما أُبَالي أطَالَ اللَّوْمُ أو قَصُرا

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر[2]، فخرج حاجّاً بسببه، وبَعَثَ إلى مولى الجارية، واشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمر قيّمة جواريه فَحَلَّتْها وزَيَّنَتْهَا.

وبَلَغَ الناس قدومه، فدخلوا إليه للسلام عليه، وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمّار؛ فلما أراد الشخوص استجلسه، فقال له: ما فعل حبّ فلانة؟ قال: مشوب باللحم، والدم، والمخ، والعظم، والعصب. وأمر بالجارية، فأخرجت إليه، وقال: هي هذه؟ قال: نعم، أصلحك الله! قال: إنّما اشتريتها لك. فوالله

---

(١) يعذله: يلومه.

(٢) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

ما دنوت منها، فشأنك بها، فهي لك مباركة. وأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: خذ هذا المال لكي تهتمّ بها، وتهتمّ بك. قال: فبكى عبد الله الرحمن فرحاً. وقال: يا أهل البيت، قد خصّكم الله بأشرف ما خصّ به مَنْ مِنْ صلب آدم، فلتهْنِئْكُمْ هذه النعمة، وبارك لكم فيها.

ابن قيم الجوزية: أخبار النساء ص ٥٣

داود الظاهري وابن الرومي

دخل رجلٌ على محمّد بن داود الظاهري(١)، ورفع إليه رُقْعَة، فظنّ الحاضرون أنّها مسألة في الفِقْه يسأله الفتوى فيها. فأخذها محمّد، وأطال النظر فيها، ثم كتب على ظهرها، وردّها إلى صاحبها فإذا هو عليّ بن العباس بن جريج الرّومي(٢)، وكان كتب عل الرّقْعة:

يا بنَ داوُدَ يا فَقِيهَ العِرَاقِ أفْتِنَا في قَوَاتِلِ الأحداقِ
هَلْ عليهنّ في الجُرُوحِ قِصَاصٌ أم مبَاحٌ لها دَمُ العُشّاقِ

وإذا بأبي بكر، قد كَتَب على ظهرها:

كيف يُفْتِيكُمُ قَتِيلٌ صَرِيعٌ بِسِهَامِ الفِرَاقِ والاَشْتِيَاقِ
وقتيلُ التلاقِ أحْسَنُ حالاً عِنْدَ داوُدَ من قَتِيلِ الفِرَاقِ

ابن خلكان: وفيات ٤/٢٦١

---

(١) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري (٢٥٥هـ - ٢٩٧هـ = ٨٦٩ - ٩١٠). أديب، مناظر وشاعر. قال الصفدي: الإمام ابن الإمام، من أذكياء العالم. لقبه عصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه. (الزركلي. ج٦، ص١٢٠).

(٢) هو الشاعر المعروف بابن الرومي (٢٢١هـ - ٢٨٣هـ = ٨٣٦ - ٨٩٦). من فحول شعراء العصر العباسي، اشتهر بالوصف والهجاء. مات مسموماً على يد الوزير القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد لأنّه هجاه. (الزركلي. ج٤، ص٢٩٧)

فتوى أبي حنيفة

قال رجل لأبي حنيفة(١): ما تقول في رجل قال: لا أرجو الجنَّة، ولا أخاف النار، وآكل الميتة، وأشهد بما لم أرَ، ولا أخاف الله، وأصلّي بلا ركوع ولا سجود، وأبغض الحقّ، وأحبّ الفتنة. فقال له أبو حنيفة، وكان يعرفه شديد البغض له: يا فلان، ما سألتني عن هذه المسألة ولك بها علم، قال: لا ولكن لم أجد شيئاً هو أشنع من هذا فسألتك عنه. فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: شَرّ رجل، هذه صفة كافر. قال: فتبسّم أبو حنيفة، وقال: لقد شنَّعتم القول فيه. ثمّ قال: هو والله من أولياء الله تعالى حقاً. ثمّ قال للرجل: إنْ أخْبَرْتُك أنَّك من أولياء الله تعالى حقاً تكفَّ عنّي شرَّك، ولا تُمْلِ على الحفظةِ ما يضرّك؟ قال: نعم. قال: أمّا قولك: لا يرجو الجنَّة، ولا يخاف النار، فإنّه يرجو ربّ الجنّة، ويخاف ربّ النار. وأمّا قولك لا يخاف الله، فإنّه لا يخاف ظلمه ولا جَوْره، قال الله تعالى: ﴿وما ربُّك بظلاَّمٍ للعبيد(٢)﴾. وقولك يأكل الميتة، فهو يأكل السمك. وقولك يصلّي بلا ركوع ولا سجود، فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبيّ (ص)، وقد لزم موضع الجنائز، فهو يصلّي عليها، ويعتبر بقصر أمله، ويصلّي على كلّ مسلم ومسلمة، ويدعو للأحياء والأموات. وأمّا قولك يشهد بما لم يرَ، فهو شهادة الحقّ يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله. وقولك يبغض الحقّ: فهو يحبُّ البقاء حتّى يطيع الله، ويكره الموت وهو الحقّ. قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقِّ(٣)﴾. وأمّا الفتنة، فإن القلوب مجبولة على حبّ المال والولد، وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين،

---

(١) هو النعمان بن ثابت (٨٠ هـ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧)، إمام الحنفيّة، الفقيه المجتهد المحقّق، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة. عُرض عليه القضاء فامتنع ورعاً. كان قويّ الحجّة، من أحسن الناس منطقاً. (الزركلي. ج٨، ص٣٦).

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) ق: ١٩.

قال الله تعالى: ﴿إنّما أموالُكُمْ وأولادُكُم فِتْنَةٌ[1]﴾. قال: فرجع الرجل عن بغضه لأبي حنيفة (رض)، وتاب إلى الله عزّ وجلّ.

المخلاة. ص ٢٦٢

وجهك إلى جهة ثيابك

جاءَ رجلٌ إلى الشّافعيّ[2] فقال له: إذا نزعْتُ ثيابي ودخلتُ النهر أغتسل فإلى القِبْلَةِ أتوَجَّهُ أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أنْ يكون وَجْهُكَ إلى جهة ثيابك لئلاّ تُسْرَقُ.

الغزّي: المراح. ص٥٣.

المأمون وصاحب اللّحية

كان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد، مشرفاً على دجلة وهم يتذاكرون أخبار الناس، فقال المأمون: ما طالت لحية إنسان قط إلاّ ونقص من عقله بمقدار ما طال منها، وما رأيت قط عاقلاً طويل اللحية!... فبينما هم يتذاكرون في هذا إذ أقبل رجل كثير اللحية، حَسَن الهيئة والثياب، فقال المأمون: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: رجل عاقل، وقال آخر: يجب أن يكون قاضياً. فقال المأمون لبعض الخدم: عليّ بالرجل. فلم يَلْبَثْ

---

(١) الأنفال: ٢٨.

(٢) محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي. (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠). أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة قال فيه المبرّد: كان الشافعي من أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. وكان بارعاً بالرمي يصيب من العشرة عشرة. وكان ذكيّاً جداً. وقال الإمام ابن حنبل: «ما أحد ممّن بيده محبرة أو ورق إلاّ وللشافعي في رقبته منّة. (الزركلي. ج٦، ص٢٦)

أن صعد إليه، وَوَقَف بين يدَيه، فسلّم فأجاد السلام، فأجلسه المأمون وٱسْتَنْطَقَهُ بأحسن النطق. فقال له المأمون: ما اسمك؟ قال: أبو حَمْدَوَيْهِ. قال: والكنية؟ قال: عَلَوَيْه، فضحك المأمون، وغمز جلساءه، ثم قال: ما صَنْعَتُك؟ فقال: أنا فقيه أجيد الشرع في المسائل. فقال له: نسألك مسألة؟! فقال الرجل: سَلْ عمّا بَدَا لك! فقال المأمون: ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل فلمّا أخذها المشتري خرجت من اسْتها بعرة فَقَأَتْ[1] عين رجل. على مَنْ توجب ديَة[2] العين؟

فأطرق الرجل طويلاً ينظر بالأرض، ثم قال: تجب على البائع دون المشتري! فقال المأمون: وما العلّة التي أوجبت الديّة عليه دون المشتري! قال: إنّه لمّا اشتراها لم يشترط أن في استها مَنْجَنيقاً[3]! فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه، وضحك كل من حضر.

ما أَحَدٌ طَالَتْ له لِحْيَةٌ فَزَادتِ اللِّحْيَةُ في هَيْئَتِهِ
إلاّ وَمَا يَنْقُصُ مِنْ عَقْلِهِ أَكْثَرُ مِمّا زَادَ في لِحْيَتِهِ

حدائق الأزاهر: ص ١٨١ - ١٨٢

العدل والمساواة

كان رجل يَهْوى ٱمرأة، فرآها في النوم، وأمكنته من نفسها، فأخبرها بذلك، فرفعته إلى الحاكم، وقالت له: إنّه نال منّي في المنام ما أراد، فليدفع إليّ حقّي. فقال الحاكم: ٱدْفَعْ لها ديناراً! فقال الرجل: «وكيف أدفع لها ديناراً، ولم أنل منها شيئاً إلاّ في المنام؟ فقال الحاكم: لا بدّ من ذلك! فَدَفَعَ لها ديناراً، وٱنصرفا. فلمّا جاوزت المرأة الباب، قال الحاكم: «ارجعي

---

(١) فقأت عين الرجل: قلعتها أو شقّتها.

(٢) الدية: ثمن دم القتيل.

(٣) المنجنيق: آلة حربيّة ترمى بها الحجارة وغيرها من القذائف.

إليَّ.» فلمّا رجعت، أَخَذَ منها الدينار، ودفعه إلى صاحبه، وقال للمرأة: اذهبي فقد نِلْتِ منه بمقدار ما نال منك.

حدائق الأزاهر: ص ٦٠.

الفصل الرابع

من نوادر وطرائف النحاة

لا لُو لي

جاء أحدُهم إلى نحويّ، وأراد أن يسأله عن أبيه، ولكنه خاف أن يُخطىء في كلامه، فينصب المرفوع، أو يرفع المجرور، أو نحو ذلك؛ فقال له: هل أباك، أبوكَ، أبيك هنا؟ فأجابه النحويّ: لا، لُو، لي، ليس هُنا.

أعطِ سيبويه كَسْرَةَ

وَقَفَ أحد الفقراء على باب نحويّ، وقرعه. فقال النحوي: من بالباب؟ فقال: سائل. فقال: يَنْصرف[1]. فقال: اسمي أحمد[2]! فقال النحويّ لغلامه: أعطِ سيبويهِ[3] كَسْرَةَ.

ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق. ١/٣٩

---

(١) ينصرف: أي ليَذْهَبْ من هُنا.

(٢) أحمد: علم ممنوع من الصرف لأنه على وزن الفعل.

(٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (١٤٨ هـ ـ ١٨٠ هـ = ٧٦٥ ـ ٧٩٦). لقبه سيبويه، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. صنّف كتاباً سماه: «كتاب سيبويه» (الزركلي. ج ٥، ص ٨١).

النحوي وبائع البطّيخ

قال نحويّ لصاحب بطّيخ: بكم تانِكَ البطّيختان اللّتان بِجَنْبِهما السفرْجلَتَان، ودونهما الرمّانتان؟ أجابَ البائع: بِضَرْبتان، ولَكمتَان، وصَفْعَتَان ﴿فبأيّ آلاءِ ربّكُما تُكذّبَان[1]﴾.

الفطيري: أدبنا الضاحك. ص ٥٣.

ليتها كانت القاضية

عادَ أحدهم نحوياً فقال: ما الذي تشكوه؟ أجاب: حمّى جاسِية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية. فقال له: لا شفاك اللهُ بعافية، يا ليتها كانتِ القاضية.

الأبشيهي: المستطرف. ٢/٢١٣

احْذُ حذو السنّور

قال ابو الأسود الدؤلي[2] لغلامه: ما فعل أبوك؟ قال: أخذته الحمّى فَطَبَخَتْهُ طَبْخاً، وَفَضَحَتْهُ فضْحاً، وفَنَخَتْهُ فنْخاً فتَرَكتْهُ فَرْخاً. قال أبو الأسود: فما فعلت آمرأته التي كانت تجارّه وتشارّه وتزارّه وتهارّه؟ قال طلّقها فتزوّجت غيره فرضيَتْ، وحَظيَتْ، وبَظِيَتْ. قال أبو الأسود: قد عرفنا حظيَتْ فما

---

(١) الرحمن: ٢٨.

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي(١ ق هـ ٦٩ هـ = ٦٠٥ - ٦٨٨)واضع علم النحو، فقيه، شاعر، من الأعيان والأمراء وحاضري الجواب. وهو أوّل من نقط المصحف.(الزركي. ج٣، ص٢٣٦)

معنى بظِيَت؟ قال: حرف (كلمة) من الغريب لم يبلغك؟ قال أبو الأسود يا ابن أخي، كلّ حرف من الغريب لم يبلغ عمّك فاستره كما نستر السنّور خَرْأَهـا.

عيون الأخبار. ج ٢، ص ١٦٤ - ١٦٥

غمّضوني

كان لبعضهم نحويّ يتقعّر[1] في كلامه، فاعتلّ[2] مرَّةً علّة شديدة أشرف منها على الموت. فاجتمع عليه أولاده، وقالوا: ندعو لك فلاناً، أخانا؟ قال: لا، إنْ جاءني قَتَلَنِي. فقالوا: نَحْنُ نوصيه أن لا يتكلّم. فدعوه، فلّما دخل عليه قال له: يا أبتِ، قُلْ لا إله إلاّ الله تدخل بها الجنَّة، وتفز من النار. يا أبتِ، والله ما أشغلني عنك إلاّ فلان، فإنه دعاني بالأمس إلى ضيافة فَأَهْرَسَ، وأعْدَسَ، واسْتبذَجَ، وَسَكْبَجَ، وطهج، وأفرج، ودَجَّجَ، وأبْصَلَ، وأمْضَرَ، ولوزج، وافلوذج.. فصاح أبوه: غمّوضوني، فقد سبق ابنُ الزانية ملكَ الموت إلى قبض روحي.

الأبشيهي: ج ٢، ص ٣٠٢

النحويّ والخيّاط

خرج رجلٌ مُولَعٌ بالكلمات المقعّرة يفتّش عن فرسه ومعها مهرها، كان قد أضاعهما، فمرّ بخياط فقال له: يا ذا النصاح[3]، وذات السمّ[4] الطاعن بها في غير وغى لغير عِدى، هل رأيت الخيفانة[5] القبّاء، يتبعها الحاسنُ المرْهَفُ كأن

---

(١) تقعّر: استعمل كلمات صعبة الفهم.

(٢) اعتلّ: أصيب بعلّة.

(٣) النصاح: الخيط.

(٤) السمّ: ثقب الإبرة.

(٥) الخيفانة: الفرس الخفيفة.

غرّته القمر الأزهر يُنير كالخلّب الأجرد؟ فقال الخياط: اطلبها في تزلج. فقال: ويلك، وما تقول، قبّحك الله، فما أفهم رَطانتك[1]؟ فقال الخياط: لعن الله أبغضنا لفظاً وأخطأنا منطقاً.

الصناعتين. ج ١، ص ٢٧ - ٢٨

ذهب عمرك

ركب نحويّ في سفينة، فقال للملاّح: هل تعرف شيئاً من النحو؟ قال: لا. قال: ذَهَبَ نصفُ عمرك. فلمّا اضطربت السفينة، واشْتَدَّت الريح، وكادتِ السفينةُ تغرق، قال الملاّح للنحويّ: هل تعرف السباحة؟ قال: لا. فقال له: «ذهب جميع عمرك».

كلّما تابعتك خالفتني

سأل رجل نحوياً: ماذا تقول في رجل تَرَكَ أبيه وأخيه؟ أجاب النحويّ: الصحيح أن يقال: تَرَكَ أباهُ وأخاهُ! فقال الرجل: فما لأَباه وأخاه؟ فقال النحوي: يُقال فما لأبيه وأخيه! فاعتاظ الرجل عندئذٍ وقال: ما لي أراك كلّما تابعتَكَ خالفتني؟!

(١) الرطانة: الكلام الأعجمي.

اللعنة على النحاة

جاء نحويّ يعود مريضاً، فطرق بابه، فخرج إليه ولده، فسأله: كيف أبوك؟ قال: يا عمّ، لقد ورمت رجليه. قال: لا تُلْحِنْ، قُلْ رِجلاه. ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ وصل الورم إلى رُكبتاه! قال: لا تُلْحِنْ، قل ركبتيه. ثم ماذا؟ قال: مات، وأدخله الله في عيالك وعيال سِيبَوَيْهِ، ونِفْطَوِيْه[1]، وجَحْشَوَيْه.

المستطرف. ج ٢، ص ٣٠٢

النحوي والبقّال

وَقَفَ نحويّ على بائع باذنجان، وقال له: كيف تبيع؟ قال: عشرين بدانق. قال: وما يمنعك أن تقول عشرون بدانق؟ فظنّ البائع أن الرجل يستزيده، فقال: ثلاثين بدانق. فقال النحويّ: وما يمنعك أن تقول: ثلاثون بدانق؟ وما زال على ذلك إلى أن بلغ البائع سبعين، فقال له النحوي: وما عليك أن تقول سبعون؟ فقال البائع: أراك تدور على الثمانون، وذلك لا يكون أبداً.

(نهاية الأرب. ج ٤، ص ١٤).

إسقاط الألف

قال رجل نحويّ: «أتأمُرُ بشَيْئاً؟» قال النحويّ: نعم، بتقوى الله، وبإسقاط ألفِ «شَيء».

---

(١) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي (٢٤٤ هـ ٣٢٣ هـ =٨٥٨ - ٩٣٥) إمام في النحو، فقيه وثقة. قال عنه ابن حجر: جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السيرة، ووفيات العلماء مع المروءة والفتوة والظرف (الزركلي.ج ١، ص ٦١).

هل ينصرف إسماعيل

قيل لرجل: هَلْ يَنْصَرِفُ إسماعيل؟ قال: نعم، إذا صلّى العِشَاء فما قُعُودُه؟!

علّة المريض

عادَ الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] نحوياً وكان عنده أخ. فقال الأخ للمريض: افتحْ عيناك، وَحَرِّكْ شفتاك، إنّ أبو محمّد جالساً. فقال الخليل: إنّ أكثر علّة أخيك من كلامك».

المستجاد: ص ٢٥٨

بين السين والصاد

دَخَلَ قومٌ على النضر بن شُمَيْل[2] يعودونه في مرض. فقال له رجلٌ يُكنى «أبا صالح»: مَسَخَ الله ما بك! فقال: لا تقل «مَسَخ» بالسين، ولكن بالصاد، بمعنى أذهب، وهو كلام العرب. فقال أبو صالح: إنّ السين تُبْدَل من الصاد، كالصراط والسراط، وسقر وصقر... فقال النضر: «فأنت إذن أبو سالح». فخجل الرجل.

حدائق الأزاهر: ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

---

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي (١٠٠ هـ ـ ١٧٠ هـ = ٧١٨ ـ ٧٨٦). من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض. وهو أستاذ سيبويه النحوي. له كتاب «العين». (الزركلي. ج ٢، ص ٣١٤).

(٢) النضر بن شُمَيْل بن خرَشَة بن يزيد المازني (١٢٢ هـ ـ ٢٠٣ هـ = ٧٤٠ ـ ٨١٩) أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث والفقه. عمل قاضياً على مرو. (الزركلي. ج٨، ص٣٣).

النحوي والضيف

بات رجل عند نحويّ، فأكل عنده طعاماً وفاكهة كَثيرة، فلمّا كان في نصف الليل تحرّكت عليه بطنه، فصاح على النحويّ: يا سيّدي إنّي أريد أن أتروّح! فَتَنَحنَحَ النحويّ مرارا ثم صاح: يا ميمونة، مراراً كثير حتى استجابت له بعد حين، فقال لها: أزيلي الكرى[1] عن مُقلتيْكِ، وٱفْتَحي عَينَيْكِ، وٱلبَسِي ثَوبَيْك، وقومي على قَدَمَيك، وٱضربي الزند، وأشْعلي ناراً، وأوقدي سراجاً، وٱنهَضي إلى البئر، فأدْلي فيه الدّلْوَ، وأخرجي منه ماء، وٱجعَليه في قَدَحٍ وألقيه في المستراح[2]، فإنّ ضيفنا يريد أن يتروّح. فلم يُتمّ النحويّ كلامه إلاّ والرجل قد سلح[3] في السرير. فقال: يا سيّدي إنّ هذا الشغل الذي كلّفتَ خادمكِ ـ إنْ يسّر الله فيه ـ ربّما يَتَهَيّأ في سنة كاملة، وأنا لا أكلّف خادمك من شغل ساعة. يا ميمونة، أقْبِلي وٱغسلي السرير، فقد سلحت فيه!

حدائق الأزاهر: ص ١٤٥

---

(١) الكرى: النعاس.

(٢) المستراح: بيت الخلاء.

(٣) سلح: تغوّط، قضى حاجته.

الفصل الخامس

من نوادر وطرائف الأَعْراب

ما ذنب الذين معك

صلّى أعرابيّ مع قوم، فقرأ الإمام: ﴿قل أرَأيْتُمْ إنْ أهْلَكَنِي اللهُ وَمَنْ مَعِي أو رَحِمَنَا[1]﴾، فقال الأعرابيّ: أهْلَكَكَ الله وَحْدَك، إيشْ[2] ذنب الذين معك؟ فَقَطَعَ القوم الصلاة من شدّةِ الضحك.

ما المطلوب غيري

صلّى أعرابيّ خلف إمام، فقرأ الإمام: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأوّلِينَ ثمّ نُتْبِعُهُمُ الآخرين كذلك نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ[3]﴾. وكان اسم البدويّ مجرماً، فترك الصلاة، وخرج مسرعاً، وهو يقول: واللهِ ما المطلوب غيري. فسمعه بعض الأعراب فسأله: ما بك يا مجرم؟ فأجاب: إنّ الإمام أهْلَكَ الأوّلين، والآخرين، وأراد أن يهلكني معهم، والله لا رأيته بعد اليوم.

---

(١) الملك: ٢٨

(٢) إيش: أي شيء.

(٣) المراسلات: ١٦ ـ ١٨.

أمنية أعرابي

قال الأصمعي[1]: رأيت أعرابياً ماسكاً بستار الكعبة، وهو يقول: اللّهمّ أمِتْني مِيتَة أبي خارجة!!

فقلت له: يَرْحمك الله، وكيف مات أبو خارجة؟

قال: أكل حتى امْتَلأ، وشرب حتى ارتوى، ونام في الشمس، فمات شَبْعان رَيّان[2]، دفآن[3].

التكريتي: طرائف الأطباء. ص ١٣٤

موسى والصرّة

سَرَق أعرابي صُرَّة فيها دراهم، ثم دخل المسجد ليصلّي، وكان اسمه موسى. فقرأ الإمام: ﴿وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا موسى[4]﴾. فقال الأعرابي: والله، إنّك لساحر، ثم رمى الصرَّة، وخرج هارباً.

التحفة السنية. ص ٨

---

(١) هو عبد الملك بن قُرَيب بن علي بن أصمع الباهلي (١٢٢هـ - ٢١٦هـ = ٧٤٠ - ٨٣١). راوية العرب، وأحد أئمّة العلم واللغة والشعر والبلدان - كان كثير التطواف، سمّاه الرشيد «شيطان الشعر». قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. (الزركلي. ج٤، ص١٦٢)

(٢) ريّان: مُرْتَوٍ من الماء.

(٣) دفآن: مُسْتَدْفِىء.

(٤) طه: ١٧.

قسمة الله

قال الأصمعي: رأيت بدويّة من أحسن النساء وجهاً، ولها زوج قبيح، فقلت: يا هذه! أترضَيْنَ أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا، لعلّه أحْسَنَ فيما بينه وبين ربّهِ، فجعلني ثوابه، وأسَأْتُ فيما بيني وبين رَبّي، فجعله عذابي، أفلا أرضى بما رضي الله به.

البرقوقي: دولة النساء. ص ٤٤٧

الأعرابي وسورة الفيل

صلّى أعرابيّ خلف إمام صلاة الصبح، فقرأ الإمام سورة البقرة، وكان الأعرابيّ مستعجلاً، ففاته مقصوده. ولمّا بكّر، في اليوم التالي، وابتدأ الإمام بسورة الفيل، ولّى الأعرابي هارباً، وهو يقول: الفيل أكبر من البقرة.

العمري: من كل واد حجر، ص ٤٨

الأعرابي والسائل

ألَحَّ سائل على أعرابيّ أنْ يُعْطيَه حاجةً لوجه الله. فقال الأعرابيّ: واللهِ ليسَ عندي ما أُعطيه للغير، وما عندي فأنا أوْلى به وأَحَقّ.

فقال السائل: أين الذين كانوا يُؤْثرون الفقير على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة[١]؟

---

(١) الخصَاصَة: الفقر. وهنا إشارة إلى الآية ﴿ويؤثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَة﴾ (الحشر: ٩)

فقال الأعرابيّ: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناسَ إلْحافاً[1].

هذا شرّ من يوم القيامة

اتُّهِمَ أعرابي بجريمة، فَاقْتِيدَ إلى الوالي لمحاكمته. ولمّا مَثُلَ بين يدَيْه أَخْرَجَ من جيبه كتاباً، فيه قِصَّتَه، وقدّمه إلى الوالي، وهو يقول: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه[2]﴾. فقال الوالي: «إنّما يقال هذا يومَ القيامةِ». فقال الأعرابي: «هذا، والله، شرّ من يوم القيامة، ففي القيامة يُؤْتى بالحَسَنَات وبالسَّيِّئات، وأمَّا أنتم فقد جئتم بسيّئاتي فَحَسْب، وتركتم حسناتي» فعفا عنه.

جئتك مستجدياً لا مستفتياً

دَخَلَ أعرابي على المأمون[3]، وقال له: «يا أمير المؤمنين، أنا رجل من الأعراب». قال: «لا عجب». قال: «إنّي أريد الحجّ». قال: «الطريق واسعة». قال: «ليس معي نَفَقَة». قال: «سَقَطَ عنْك الحج». قال: «أيها الأمير جِئْتُك مُسْتَجْدياً لا مُسْتَفْتِياً».

فضحك المأمون، وأمر له بجائزة.

---

(١) الإلحاف: الإلحاح في السؤال. وهنا إشارة إلى الآية ﴿تعرفهم بِسِيماهُم لا يَسْأَلُونَ الناسَ إلْحَافاً﴾ (البقرة: ٢٧٣).

(٢) الحاقة: ١٩.

(٣) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمّد المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٧٠هـ - ٢١٨هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣). سابع الخلفاء العباسيين. اشتهر بعلمه وسعة ملكه. عرّفه ابن دحية بالإمام «العالم المحدّث النحوي اللغوي»». أتمّ ما قام به جدّه من ترجمة كتب الفلسفة والعلوم. وأنشأ لهذه الغاية داراً للترجمة سمّاها «دار الحكمة». (الزركلي. ج ٤، ص١٤٢).

أعرابي يصف الخمرة

قال عبد الملك بن مروان لأعرابيّ: «يا أعرابيّ، صِفِ الخمر.» فقال:

شَمُولٌ إذا شَجَّتْ وفي الكأْسِ مُزَّةٌ لها في عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبُ
تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِها وَهْيَ دُونَهُ لِوَجْهِ أَخِيها في الإناءِ قُطُوبُ

فقال عبد الملك: وَيْحَكَ يا أعرابيّ! لقد اتّهمَكَ عندي حُسْنُ صِفَتِكِ لها»؛ فقال الأعرابيّ: يا أمير المؤمنين واتّهَمَكَ عندي معرِفَتُكَ بحُسْنِ صفتي لها.

داود بن المهلب والأعرابي

أقبل أعرابيّ على داود بن المهلّب[1]، فقال له: إنّي مدحتك فاستمع، قال داود: على رِسْلِكَ[2]؛ ثم دخل بيته، وتقلّد سيفه، وخرج، فقال: قُلْ فإن أحسنت حكّمناك، وإن أسأت قتلناك، فأنشد:

أمِنْتُ بِدَاوِدٍ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنَ الحَدَثِ المَخْشِيِّ والبُؤْسِ والفَقْرِ
فأصْبَحْتُ لا أخْشَى بِداودَ نَبْوَةً مِنَ الحَدَثَانِ إنْ شَدَدْتُ بِهِ أزْرِي
له حُكْمُ لُقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفٍ وَحُكْمُ سُلَيْمَانٍ وَعَدْلُ أبي بَكْرِ
فتًى تَفْرَقُ الأمْوَالُ من جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفرَقُ الشيطانُ من لَيْلَةِ القَدْرِ

فقال: قد حكّمناك، فإن شئت على قدري، وإن شئت على قدرك، قال: بل على قدري؛ فأعطاه خمسين ألفاً. فقال جلساؤه: هلاّ احتكمت على قدر الأمير؟ قال: ليس في ماله ما يفي بقدره، فقال له داود: أنت في هذه أشعر منك في شعرك. وأمر له بمثل ما أعطاه.

الأنابيش. ج٣، ص ١٥٢

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الأول.

(٢) رسلك: مَهْلك.

في سورة المائدة

جاء رجل إلى قومه، فجعلوه إماماً لصلاتهم. وكان أكثر ما يطعمونه خبزاً وكامخاً[1]. فلمّا طال عليه ذلك ٱفتتح الصلاة ذات ليلة بفاتحة الكتاب، ثمّ قرأ: يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله، ولا تطعموا إمامكم كامخاً، بل لحماً، فإنْ لم يكن لحماً فشحماً، وإنْ لم يجدوا شحماً فبيضاً، ومَنْ لم يفعل ذلك فقد خسر خسراناً مبيناً! ثمّ قرأ في الركعة الثانية بعد فاتحة الكتاب: فإنْ لم تجدوا بيضاً فَسَمكاً، فإنْ لم يكن سَمَكاً فَلَبناً ومَنْ لم يفعل ذلك فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً. فلمّا فرغ من الصلاة قيل له: في أيّ سورة هذا؟ قال لهم: في سورة المائدة.

حدائق الأزاهر. ص ٢٤٠

الأعرابيّ الوفيّ

أُتي الحجّاج[2] بقوم كانوا قد خرجوا عليه، فأَمَر بقتلهم، وبقي منهم واحد، فأقيمت الصلاة، فقال الحجّاج لقتيبة بن مسلم[3]: ليكن عندك، وتغدو به علينا، قال: فخرجت والرجل معي، وفي الطريق قال لي: «هل لك في خير؟» قلت: وما هو؟ قال: إن عندي ودائع للناس، وإنّ صاحبك لقاتلي، فهل لك أن تُخلي سبيلي لأودّع أهلي، وأُعطي كلّ ذي حقّ حقّه، وأوصي بما عليّ ولي، واللهُ تعالى كفيل لي أن أرجع إليك بكرةً. قال: فتعجّبت من قوله،

(١) الكامخ: ما يجعل مع الخبز فيطيّبه.

(٢) راجع ترجمته في الفصل الثاني.

(٣) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي (٤٩ هـ - ٩٦ هـ = ٦٦٩ - ٧١٥). أمير، فاتح، من مفاخر العرب، داهية، راوية للشعر عالم به، بطل، دمث الأخلاق. (الزركلي. ج٥، ص١٩٠)

وتضاحكت. قال: فأعاد عليّ القول، وقال: يا هذا، الله كفيل أن أعود إليك. وما زال يلحّ إلى أن قلت: آذْهَبْ.

ولمّا توارى عنّي، انتبهت وقلتُ: ماذا صنعت بنفسي؟ ثم أتيت أهلي، فباتوا بأطول ليلة؛ فلمّا أصبحنا إذا برجل يقرع الباب. فخرجت، وإذا به، فقلت: رجعت؟ قال: جعلت الله كفيلاً ولا أرجع؟! فانطلقت. ولمّا بصر بي الحجّاج قال: أين الأسير؟ قلت: بالباب أصلح الله الأمير. فأحضرته وقصصت عليه القصة، فجعل يردّد نظره فيه، ثم قال: وهبته لك، فانصرفت به؛ ولمّا خرجت من الدار قلت له: اذهب أين شئت، فرفع بصره إلى السماء، وقال: اللّهمّ لك الحمد، ثمّ مضى ولم يقل لي: أحسنت، أو أسأت. فقلت في نفسي: مجنون وربّ الكعبة.

وفي اليوم الثاني، جاءني، فقال: يا هذا جزاك الله عني أفضل الجزاء، والله ما ذهب عنّي أمس ما صنعت، ولكن كرهت أن أشرك في حمد الله أحداً.

أنو شروان والأعرابي

وَفَد حاجب بن زَرَارة[1] على أنو شروان[2] فاستأذن عليه، فقال للحاجب:

ـ سَلْه من هو!

فلمّا سأله قال له: أنا أحد الأعراب، فأذن له بالدخول، فقال له أنو شروان: من أنت؟

(١) حاجب بن زرارة بن عُدَس الدّارمي التميمي (... ـ نحو ٣ هـ = ... نحو ٦٢٥) من سادات العرب في الجاهلية. هو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم، ووفى به. (الزركلي. ج٢، ص١٥٣)

(٢) هو كسرى أنو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩). ملك ساساني، ابن قباذ. اشتهر بعدله. أهم مشاريعه مسح الأراضي وإصلاح نظام الضرائب. (المنجد ص٥٨٩).

قال: أنا سيّدُ العرب!

قال الملك: أَلَيْسَ زعمت أنّك واحد منهم؟

قال الأعرابيّ: كنت كذلك، فلمّا أكرمني الملك بمكالمته صِرتُ سيِّدَهم.

فسُرَّ الملك من جوابه وقال: لقد أمَرْنا بِحَشْوِ فِيْكَ دُرّاً.

المأمون والأعرابيّ

طلب المأمون إلى أصدقائه أن يُطْلعوه على كلّ ما يسمعون، ويشاهدون في العاصمة العبّاسية، وذات يوم، أخبره بعضهم أنّ أعرابيّاً هَبَطَ بغداد حديثاً، وأنّه شديد الشَّبَه به قائلين:

- يخيّل إلينا يا أمير المؤمنين، عندما تقع أعيننا على هذا الأعرابي، أننا نراك، وقد تنكّرت بالملابس المتواضعة، تطوف أحياء العاصمة، مستكشفاً أحوالها، وأحوال شعبك.

فَصُعِقَ المأمون، وأمر بإحضار الأعرابي شبيهه.

ونشطت التحرّيات على قَدَمٍ وساق عن الأعرابيّ حتى عُثِرَ عليه في السوق، فقبضوا عليه، وآستاقوه إلى بلاط الخليفة دون أي ممانعة.

وما كاد نظر المأمون يقع على الأعرابيّ حتى نَدَتْ منه حركة تنمّ عن فرط دهشته. فقد خُيّل إليه أنّ شخصه نفسه يتقدّم نحوه لشدّة الشَّبَه بينهما.

وفي أثناء المحادثة ازداد الخليفة إعجاباً لأجوبته المصيبة العاقلة، وسرعة بديهته، وخفّة روحه، ومظهره الذي ينمّ عن النبل، وكرم المحتد، ومشيته الثابته في حضرة السيّد الحاكم.

وحاول المأمون للمرّة الأخيرة أن يمتحن مهارته على التهرّب من الجواب

عن الأسئلة المحرجة، فقال له بسخرية بادية:

- ألا قُلْ لي، يا أخا العرب، أَسَبَقَ لأُمّكَ أنْ أتت بغداد؟

فأجابه الأعرابيّ بسخرية لا تقلّ عن سخريته:

- كلاّ، يا أمير المؤمنين، لقد أتى والدي إلى بغداد!

فلم يكن من المأمون إلاّ أن أمر له بصلة سَنِيَّة، كما أمر بإخراجه من العاصمة على ألاّ يضع رجله داخلها بعد ذلك اليوم.

خالد بن عبدالله القسري والأعرابي

دَخَلَ أعرابيّ من ثقيف على خالد بن عبد الله القسري[1]، فشكا إليه قِلّة المطر، ويَبْس الشجر، وكثرة العيال، وقِلّةَ المال؛ وكان خالد مبغضاً لثقيف، فقال:

«أمّا ما ذكرت من قلّة المطر فَوَدَدْتُ لو أنّ اللهَ جَلّ اسمه ضرب بينكم وبين السماء صفائح من حديد، وجعل مسيلها ممّا يلي البحر، فلا تصل إليكم قطرة من مائها. وأمّا ما ذكرت من يبس الشجر فوددت أنّ الله أحرق ما لديكم من ذلك. وأمّا ما ذكرت من قلّة المال، وكثرة العيالِ فوددت أنّ الله قطع يَدَيك ورجْلَيْك، ولم يَجْعَلْ لأهلك كاسباً غيرك».

فقال الأعرابي: «أيّها الأمير، أصلحك الله، وطِئْتُ أرضك، وأُمِّلتُ

(١) أبو الهيثم خالد بن عبد الله القسري (٦٦ هـ - ١٢٦ هـ = ٦٨٦ م - ٧٤٣ م). أحد أجواد العرب وخطبائهم، ولاه الوليد بن عبد الملك على مكة سنة ٧٠٩ م (٨٩ هـ)، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ٧٢٥ م؛ وما لبث أن عزله سنة ٧٤٠ م (١٢٠ هـ)، وعيّن مكانه يوسف بن عمر الثقفي، الذي سجنه وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد، بعد أن اتّهم بالزندقة.

رفدك، فلا تصرفني بحسرة الحرمان، وآجعل قِرايَ منك بقدر أملي فيك، لا بقدر نَسَبي عندك».

فأعجب بقوله، وأمر له بمبلغ من المال.

المهدي والأعرابي

خرج المهدي[1] يوماً للصيد، فغار فرسه حتّى انتهى به إلى خباءٍ لأعرابي، فقال: «يا أعرابي! هل مِنْ قِرى؟» قال: «نعم». وأخرج له قرص شعير فأكله، وفضلة من لبن فسقاه، ثمّ أتى بنبيذ في رَكْوَة فسقاه، فلما شرب، قال للأعرابي:

ـ أتدري من أنا؟

قال: لا.

قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصَّة.

قال الأعرابي: بارك لك الله في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى، فشرب.

قال المهدي: يا أعرابي، أتدري من أنا؟

قال: زعمت أنّك من خدم أمير المؤمنين الخاصَّة.

قال: لا، بل أنا من قوّاد أمير المؤمنين.

فقال الأعرابي: رَحُبَت بلادك، وطاب مُرَادك؛ ثم سقاه الثالثة، فلمّا فرغ قال:

ـ يا أعرابي! أتدري من أنا؟

قال: زعمت أنّك من قوّاد أمير المؤمنين.

قال المهدي: لا، ولكنّي أمير المؤمنين!

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الأول.

فأخذ الأعرابي الركْوَة فوكأها[1]، وقال: إليك عنّي، فوالله لو شربت الرابعة لادّعيت أنّك رسول اللهِ!

فضحك المهدي حتى غشي عليه، ثم أحاطت به الخيل، ونزل إليه الأمراء والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فقال له المهدي:

« لا بأس عليك ولا خوف.» وأمر له بكسوة ومال جزيل.

المستطرف. ٢/٢٣٣

أشهر ما قالته العرب

سأل عبد الملك أعرابياً: مَنْ أنت؟ فأجاب: أنا رجل جَانَبَتْني عَنْعَنَة[2] تميم وأسد، وكشكشة[3] ربيعة، وحوشي[4] أهل اليمن، وإن كنت منهم. فقال: « من أيّهم أنت؟ » قال: من أخوالك، من بني عذرة. قال: « أولئك فصحاء الناس، فهل لك علم بالشعر؟ » قال: « سلني يا أمير المؤمنين ». قال: « أيَّ بيت قالته العرب أمدح؟ » قال: قول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

قال: فأيّ بيت أهجى؟ قال: قول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّك مِنْ نُمَيْرٍ ... فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلاَبَا.

قال: وأيّ بيت أغزل؟ قال: قول جرير:

إنّ العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثمّ لم يُحْيينَ قَتْلانا

ثم قال له: أيّ بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً؟ قال: قول جرير:

---

(١) وكأها: أقعدها في مكانها.

(٢) العنعنة أنْ تُجعل الهمزة في اللفظ عيناً.

(٣) الكشكشة: هي أن تجعل الشين مكان الكاف في خطاب المؤنث.

(٤) الحوشي: الغريب الوحشي.

سَرَى نَحْوَهُمْ لَيْلٌ كَأنَّ نُجُومَهُ قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ المُفَتَّلُ

فنهض جرير، وأخذ يقبّل وجه الأعرابي، ثم قال: «جائزتي للعذري يا أمير المؤمنين». فقال عبد الملك: «وله مثلها من مالي الخاص».

ألم الفِراق

أراد أعرابي سفراً، فقال لامرأته:

عُدّي السنين لِغَيْبَتي وتَصَبَّري وذَرِي الشُّهُورَ فإنَّهُنَّ قِصَارُ

فأجابته:

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَارْحَمْ بَنَاتِكَ إنَّهُنَّ صِغَارُ

فلم يسافر.

ابن قتيبة: عيون الأخبار. ٢/١٤٠

أعرابي إلى مائدة الخليفة

حَضَرَ أعرابي إلى مائدة بعض الخلفاء، فَقُدِّمَ جَدْيٌ مشويّ، فجعل الأعرابي يُسرع في أكله منه. فقال له الخليفة: أراك تأكله بِحَرَدٍ[1] كأنّ أمّه نَطَحَتْكَ! فقال: أراك تُشْفِقُ عليه كأنّ أمّه أرضعتك!

الدباغ: أدب المعدمين. ص ١٧

(١) الحرد: الحقد والغضب.

معن بن زائدة والأعرابي

تذاكرَ جماعة فيما بينهم أخبار معن بن زائدة[1]، وما هو عليه من وَفْرَة الحِلْم، ولِين الجانب، وأطالوا في ذلك، فقام أعرابيّ، وآل[2] على نفسه أن يُغضبه، فقالوا: إنْ قدِرْتَ على إغضابه فلك مئة بعير. فانْطَلَق الأعرابي إلى بيته، وعمد إلى شاة له فسلخها، ثمّ ارتدى بإهابها[3]، جاعلاً باطنه ظاهره، ثمّ دَخَل على معن، وَوَقَفَ أمامه طافح العينين كالخليع، تارة ينظر إلى الأرض، وتارة ينظر إلى السماء؛ ثمّ قال:

أَتَـذْكُـرُ إذْ لِحَـافُـكَ جِلْـدُ شَـاةٍ   وإذْ نَعْلاَكَ مِـنْ جِلْـدِ البَعِيـرِ

قال معن: أذكر ذلك، ولا أنساه يا أخا العرب. فقال الأعرابيّ:

فَسُبْحَـانَ الذي أعْطَـاكَ مُلْكـاً   وَعَلَّمَـكَ الجُلُـوسَ على السَّرِيـرِ

فقال معن: سُبحانه وتعالى. فقال الأعرابي:

فَلَسْـتُ مُسَلِّمـاً مـا عِشْـتُ حَيّـاً   علـى مَعْـنٍ بِتَسْلِيـمِ الأَميـرِ

قال معن: إنْ سَلّمت رددنا عليك السلام، وإن تركت فلا ضير[4] عليك.
فقال الأعرابيّ:

سَـأَرْحَـلُ عـن بِلاَدٍ أنْـتَ فيهـا   وَلَـوْ جـارَ الزَّمَـانُ على الفَقِيـرِ

فقال معن: إنْ أقمت بنا فَعَلى الرَّحْب والسَّعة، وإنْ رَحَلْتَ عنّا فمصحوباً

(١) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني (... - ١٥١هـ - ... ٧٦٨). من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء. أدرك العصرين: الأموي والعباسي. (الزركلي. ج٧، ص٢٧٣).

(٢) آل على نفسه: أخذ عهداً على نفسه.

(٣) الإهاب: الجلد.

(٤) ضير: ضرر.

بالسلامة. فقال الأعرابيّ، وقد أعْيَاه[1] حِلم معن:

فَجُدْ لي يَا بْنَ نَاقِصَةٍ بمَالٍ ... فإنّي قد عَزَمْتُ على المَسِيرِ

فقال معن: اعْطوهُ ألف دينار، فأخذها وقال:

قَليلٌ ما أتَيْتَ بِهِ وإنّي ... لأطْمَعُ مِنْكَ بالمَالِ الكَثِيرِ
فَثَنِّ فَقَدْ أتَاكَ المُلْكُ عَفْواً ... بلا عَقْلٍ ولا رَأْيٍ مُنِيرِ

فقال معن: أعطوه ألفاً ثانياً. فتقدّمَ الأعرابيّ إليه، وقبّل يَديه ورجليه، وقال:

سَألْتُ الجُودَ أن يُبْقِيكَ ذُخْراً ... فَمَا لَكَ في البَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرِ
فَمِنْكَ الجُودُ والإفْضَالُ حَقّاً ... وَفَيْضُ يَدَيْكَ كالبَحْرِ الغزيرِ

فَقَالَ مَعْنٌ: أعْطَيْنَاهُ على هَجْوه ألْفين، فأعْطوه على مَدحنا أربعة آلاف. فقال الأعرابيّ: جُعِلْتُ فِدَاك، ما فعلت ذلك إلاّ لمئة بعير جُعِلَتْ على إغضابك. فقال معن: لا خوف عليك، ثمّ أمر له بِمِئتي بعير، نصفها للرهان، والنصف الآخر له. فانْصَرفَ الأعرابيّ داعياً شاكراً.

اليافعي: مرآة الجنان. ١/٣١٧

الأعرابي وتقسيم الدجاجات

قَدِمَ أعرابيّ من أهل البادية على رجل من أهل الحَضَر، فاستضافه وكان عنده دجاج كثير، وكان له زوجة وابنان وابنتان. فقال: قلت لامرأتي: آشْوي لنا دجاجة لنتغدّاها. ولمّا جلسنا جميعاً إلى المائدة قلت للأعرابيّ: «آقْسِمْها بيننا». وفي نِيّتِنا أنْ نَضْحَكَ منه. فقال الأعرابيّ: لا أُحْسِنُ القسمة، فإنْ رضيتم بقسمتي قسمتُ بينكم. فقلت: نرضى. فأخذ رأس الدجاجة وناولني

---

(١) أعياه: أضناه، أتعبه، أهلكه.

قائلاً: الرأس للرأس. ثمّ قطع الجناحين، وقال: «الجناحان لِلابْنَيْن»، ثمّ قطع الساقين وقال: «الساقان لِلابْنَتَيْن»، ثمّ قطع الزمكيّ[1]، وقال: العَجُز للعجوز، ثم قال: والزَّوْرُ[2] للزائر. فلمّا كان من الغد قلت لامرأتي: آشْوِي لنا خمس دجاجات. فلمّا جلسنا إلى الطاولة، قلت: اقْسِمْ بيننا. قال الأعرابيّ، شفعاً أو وتراً[3]؟ قلت: وتراً. قال: أنت وآمرأتك ودجاجة ثلاثة. ثمّ رمى إلينا بدجاجة. وقال: ابناك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة. وقال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثمّ قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة. فأخذ الدجاجتين.

ولمّا رآنا في حَيْرةٍ منه، قال: لعلّكم كرهتم قسمتي الوَتْرَ. قلنا: اقسمها شفعاً. فقبضهنّ إليه، ثم قال: أنت وآبْنَاك ودجاجة أربعة. ورمى إلينا دجاجة. ثم قال: والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهنّ دجاجة. ثمّ قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضمّ ثلاث دجاجات، ثمّ رفع رأسه إلى السماء، وقال: الحمد للهِ أنْتَ فَهَّمْتَنِيها!

ابن الجوزي: أخبار الظرف. ص ٦٧

ما أطيب طعامك

وقف أعرابيّ على أبي الأسود[4]، وهو يتغدّى فسلّم، فردّ السلام. ثمّ أقبل على الأكل، ولم يعزم عليه. فقال له الأعرابيّ:

ـ إنّي مررتُ بأهلك!

ـ كذلك كان طريقك.

ـ وآمرأتك حُبْلى!

(١) الزمكي: الذنب وما يليه.

(٢) الزور: الصدر.

(٣) الشفع: الزوج من العدد. والوتر: المفرد من العدد.

(٤) راجع ترجمته في الفصل الرابع.

- كذلك كان عهدي بها.

- قد ولدت.

- كان لا بدّ لها أن تلد.

- ولدت غلامين!

- كذلك كانت أمّها.

- مات أحدهما!

- ما كانت تقوى على إرضاع اثنين.

- ثمّ مات الآخر!

- ما كان ليبقى بعد موت أخيه.

- وماتت الأم!

- ماتت حزناً على وَلَدَيها.

- ما أطيب طعامك!

- لأجل ذلك أكلته وحدي، ووالله لا ذقته يا أعرابيّ!

المستطرف. ج ١، ص٢٠٩

الأعرابي والشعرة

حضر أعرابيّ سفرة هشام بن عبد الملك[1]؛ فبينما هو يأكل معه تعلّقت شعرة في لقمة الأعرابيّ. فقال له هشام: «عندك شعرة في لقمتك يا أعرابيّ!»

---

(١) هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ هـ -١٢٥ هـ = ٦٩٠ - ٧٤٣)، هو من ملوك الدولة الأموية في الشام. تسلّم الخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ. وكان حسن السياسة، يقظاً في أمره ويباشر الأعمال بنفسه. (الزركلي. ج٨، ص٨٦).

فقال: إنّك لتلاحظني ملاحظة مَنْ يَرَى الشعرة في لقمتي؟! والله لا أكلت عندك أبداً، ثم خرج وهو يقول:

ولِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ زِيَـارَةِ بَـاخِـلٍ يُلاَحِظُ أطْرافَ الأكيلِ على عَمْدِ[1]

العقد الفريد. ٢، ٤٥٧

لا تدخل في الفضول

سَرَقَ أعرابيّ غاشية[2] من على سرج، ثمّ دخل المسجد ليصلّي. فقرأ الإمام: ﴿هَلْ أتَاكَ حديث الغاشية[3]؟﴾ فقال: يا فقيه لا تدخل في الفضـول. فلمّا قرأ: ﴿وُجُوهٌ يومئذٍ خاشِعَةٌ[4]﴾ قال: خذوا غاشيتكم، ولا يخشع وجهي. لا بارك الله لكم فيها. ثمّ رماه من يده وخرج.

المستطرف. ج٢، ٢٩٦

أقوم الليل

حضر أعرابيّ مجلس قوم، فتذاكروا قيام الليل. فقيل له: «يا أعرابيّ، أتقوم الليل»؟ قال: «نعم». قالوا: «ما تصنع؟» قال: «أبول، وأرجع أنام!»

المستطرف ج ٢، ص ٢٩٦

---

(١) الأكيل: الأكول.

(٢) الغاشية: غطاء السرج.

(٣) الغاشية: ٩١

(٤) الغاشية: ٢.

الأعرابي والحجّ

حدّث الأصمعي قال: خرج أعرابيّ إلى الحجّ مع أصحابه، فلمّا كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله لقيه ابن عمّ له، فسأله عن أهله، ومنزله، فقال: «اَعْلَمْ إنّك لمّا خرجت، وكان لك ثلاثة أيّام، وقع في بيتك الحريق».

فرفع الأعرابيّ يَدَيه إلى السماء، وقال: ما أحسن هذا يا ربّ! تأمرنا بعمارة بيتك، وتخرب أنت بيوتنا!

العقد الفريد. ج ٣، ص ٤٨١

أوصيك بصبيتي خيراً

حضر أعرابيّ طعام أمير، فأكل معه. فلمّا أحضر الفالوذج[١] قال له الأمير: إنْ أكلت هذا حززتُ رأسك. فنظر الأعرابيّ مليّاً، ثمّ رأى ترك الفالوذج خسارة، فمدّ يده إليه، وقال: «أوصيك بِصِبْيَتِي خيراً.»

محاضرات الأدباء. ج ١، ص ٣٩٣

أكل مال الله

عيّن أحد الخلفاء أعرابيّاً على عمل، فأصاب عليه خيانة، فاستدعاه قائلاً: «يا عدوّ الله، أأكلت مال الله؟» قال الأعرابيّ: «فمال مَنْ آكل إذا لم آكل مال الله؟ لقد راوَدْتُ إبليس أن يُعطيني فلساً واحداً فما فَعَل!»

فضحك منه، وخلّى سبيله.

العقد الفريد. ج ٣، ص ٤٧٨

---

(١) الفالوذج: نوع من الحلواء تُعمل من الطحين والماء والعسل.

الحسنة بعشرة أمثالها

حمل أعرابيّ جرّته ليملأها من مياه البحر. وعلى الطريق التقى بجماعة من الشعراء متوجّهين إلى دار الخليفة. فرافقهم، ودخل معهم. ولمّا رآه الخليفة سأله: ما حاجتك؟ أجاب:

وَلمّا رأيتُ القَوْمَ شـدُّوا رِحَـالَهُـمْ ... إلى بَحْرِكَ الطامِيّ أتَيْتُ بجـرَّتـي

فقال الخليفة: آمْلأُوا له هذه الجرة ذهباً.

فقال أحد الأعوان: هذا مجنون، لا يعرف قيمة هذا العطاء، وقد يُتْلفه من غير طائل!

فقال الخليفة: إنّما هي أمواله، وَلْيَفْعَلْ بها ما يشاء.

ولمّا مُلِئَت جرّته، وخرج من الباب أخذ يوزّع الأموال بلا حساب. فوصل الخبر إلى الخليفة، فاستدعاه، وسأله عن سبب فعلته، فأجاب:

يَجُـودُ عَلَيْنَـا الخيِّـرون بمـالهـم ... وَنَحْـنُ بِمَـالِ الخَيِّـريـن نَجُـودُ

فقال الخليفة: أحْسَنْتَ، أيّها الأعرابيّ، وأمرنا أن نملأ جرّتك عشرة أضعاف. فالحسنة بعشرة أمثالها.

الأعرابي والتمر

سَقَطَ أعرابي عن بعير له، فانكسر ضلع من أضلاعه، فأتى الجابرَ يَسْتَوصِفُه؛ فقال له: خُذْ تَمْراً جيّداً، فآنزَعْ أقماعه[1]، ونواه، وآعْجنه بسمن، ثم أضْمِدْه عليه. قال بأبي أنت، من داخل أم من خارج؟ قال: من خارج. قال: لا أباً لشانئك، وهو من داخل أنفع لي. قال: ضَعْهُ حيث تعلم أنّه أنفع.

عيون الأخبار. ج ٢، ص٥٧

---

(١) أقماع: ج قمع، وهو ما التصق بأسفل التمرة أو غيرها.

الفصل السادس

مِنْ نوادر وطرائف
المتَنَبِّئين والحَمْقى

أيّهما أفضل

قال أحد المغفَّلين لآخر: أبو بكر[1] أفضل أم عمر[2]؟

قال: لا، بل عمر!

- وكيف علِمْتَ؟

- لأنّه لمّا مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته، ولمّا مات عمر لم يجيء أبو بكر إلى جنازته!

ضرّة عائشة

رُويَ عن الحسن بن عبد الله بن الجصّاص الجوهري أنه قال يوماً: اللهمّ آمسخني حوريّة[3] وزوّجني بعمر بن الخطّاب[4]. فقالت له زوجته: سلِ الله أن يزوّجك من النبيّ (ص) إذا استجاب الله لطلبك ومَسَخَك حوريّة. فقال: ما أحبّ أن أكون ضرّة لعائشة[5] (رض).

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الأول.

(٢) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

(٣) حوريّة: إحدى نساء الجنّة.

(٤) راجع ترجمته في الفصل الأول.

(٥) هي عائشة بنت أبي بكر الصدّيق (٩ ق هـ ٥٨ = ٦١٣ - ٦٧٨). أفقه نساء المسلمين، وأعلمهنّ بالدين والأدب. تزوجها النبي (ص)، وكانت أحب نسائه إليه. حاربت عليّ في موقعه الجمل فخسرت المعركة. (الزركلي ج٣، ص٢٤٠).

في أي يوم صلّيت الجمعة

قال أحمق لابنه الأحمق: أي يوم صلّينا الجمعة في مسجد الرّصافة[1]؟ فقال: لقد نسيت. ولكني أظنّ أنه يوم الثلاثاء، قال: صدقت كذا كان.

ابن النديم: الدراري. ص ٣٣

أيّهم أشدّ حمقاً

ترافق أحمقان في سفر، فقال أحدهما: تعالَ نتَمنَّ على الله، فإن الطريق طويلة، ولا تُقطَع إلا بالحديث. فقال الأول:

- أنا أتمنّى قطيعاً كبيراً من الغنم، أنتفع بلبنه، ولحمه، وصوفه. فقال الثاني:

- وأنا أتمنى قطيعاً كبيراً من الذئاب أُرسلها على غنمك، وتأتي عليها.

فأجابه الأوّل: وَيْحَكَ! أهكذا تكون الصداقة، والصحبة؟ وبعد أن تلاسنا، وتشاحنا، وتلاحما... رضيا بأن يحتكما إلى أوّل رجل يصادفانه. فكان شيخ على حمار يحمل زقّين من عسل. فعرضا عليه المسألة، ففتح الزقين وأسال عسلهما على الأرض، وقال:

صبَّ الله دمي مثل هذا العسل إنْ لم تكونا أحمَقَيْن.

ابن النديم: كتاب الدراري: ص ٢٣

---

(١) الرصافة: مدينة بناها المهدي، الخليفة العباسي في الجانب الشرقي من مدينة بغداد.

صدقتم ولكن لم أشبع

اشترى أحدهم سمكاً، وقال لأهله: أصلحوه. ونام. فأكل عياله السمك، ولطّخوا له يده. فلمّا استيقظ، قال: قدّموا إليّ السمك! قالوا: قد أكلت! قال: لا. قالوا: شمَّ يدك. ففعل، ثم قال: صدقتم، ولكن ما شبعت.

المستطرف. ١/٢١٥

طلباً للثواب

مرّ رجل بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقال لأحد الضاربين: ما حال هذا الرجل؟ قال: والله ما أدري حاله، ولكنّي رأيتهم يضربونه، فضربته معهم طلباً للثواب من الله عزّ وجلّ.

أخبار الحمقى. ص ١٥٤

عياء باقل

اشترى باقل[١] عنزاً بأحد عشر درهماً، وجرّها بحبل في يده، وعلى الطريق سأله أحد: بكم اشتريت العنز؟ ففتح كَفَّيه، وفرّقَ أصابعه، وأخرج لسانه، ليعبّر بذلك عن أحد أحد عشر درهماً. فشردت العنز وضاعت. وفيه قال الشاعر.

يَلُومُون في حُمْقِهِ بَاقِلاً ... كأنّ الحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَفِ
فَلاَ تُكْثِرُوا العَذْلَ في عَيِّهِ ... فللصَّمْتُ أجْمَلُ بالأموَقِ
خروج اللّسان وَفَتْحُ البَنَانِ ... أحَبُّ إلينا مِنَ المَنْطِقِ

أدبنا الضاحك. ص ٣٣٥

---

(١) هو باقل الأيادي (؟) جاهلي، يضرب بعيّه المثل، فيُقال: «أعيا من باقل».

المشاغبون

قال الجاحظ[1]: مررت بمعلّم صبيان، وعنده عصا طويلة، وعصا قصيرة، وصولجان، وكرة، وطبل، وبوق؛ فقلت: ما هذا كلّه؟

قال: عندي صبية مشاغبون، أقول لأحدهم: اقرأ لوحك، فيصفّر لي، فأضْرِبُه بالعصا القصيرة، فَيَتَأخر، فأضْرِبه بالعصا الطويلة، فيفرّ من بين يدي، فأضع الكرة في الصولجان، وأقذفه بها، فيقوم نحوي الصغار كلّهم بالألواح، فلا أستطيع لهم ردّاً، ولا أملك إلاّ أن أجعل الطبل في عنقي، والبوق في فمي، فأضرب الطبل، وأنفخ في البوق، فيسمع ذلك أهل الدرب، فيسارعون إليّ ليخلّصوني!

المعلم المغفّل

قال الجاحظ: دخلت يوماً مدينة، فوجدت فيها معلّماً في هيئة حسنة، فسلّمت عليه، فردّ عَليّ أحسن رَدّ، ورحّب بي فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فَاتَحْتَه بالفقه والنحو وعلم المعقول، وأشعار العرب، فإذا هو كامل الآداب. فقلت: هذا والله ممّا يُقوّي عزمي على تقطيع الكتاب[2]. قال: فكنت أختلف إليه وأزوره. فجئت يوماً لزيارته فإذا بالمكتب مغلق، ولم أجده، فسألت عنه، فقيل مات له ميت، فحزن عليه، وجلس في بيته للعزاء. فذهبت الى بيته، وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية وقالت: ما

---

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب (١٦٣هـ ٢٥٥هـ = ٧٨٠ - ٨٦٩). كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. كان مشوّه الخلق جاحظ العينين فلقب بالجاحظ. فُلِجَ في أواخر أيامه، ومات والكتاب على صدره. (الزركلي. ج٥، ص٧٤).

(٢) تقطيع الكتاب: تمزيقه. لأنه كان قد ألف كتاباً في نوادر المعلمين، وما هم عليه من التغفّل.

تريد ؟ قلت : سيّدك . فدخلت وخرجت ، وقالت : بسم الله ؛ فدخلت إليه ، وإذا به جالس . فقلت : عظّم اللهُ أجْرَك . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، كل نفس ذائقة الموت ، فعليك بالصبر . ثم قلت له : هذا الذي توفّي ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا . قلت : فأخوك ؟ قال لا .فقلت : فزوجتك ؟ قال : لا . فقلت : وما هو منك ؟ قال : حبيبتي . فقلت في نفسي : هذه أوّل المناحس . فقلت : سبحان الله ! النساء كثير ، وستجد غيرها . فقال : أتظنّ أنّي رأيتها ؟ قلت : وهذه منحسة ثانية . ثم قلت : وكيف عَشقْتَ مَنْ لم تَرَ ؟ فقال : اَعْلَمْ : أني كنت جالساً في هذا المكان ، وأنا أنظر من الطاق ، إذ رأيت رجلاً عليه بُرْدٌ وهو يقول :

يـا أُمَّ عَمْـروٍ جَـزاكِ اللهُ مَغْفِـرَةً ... رُدِّي علـيَّ فُـؤَادي مِثْلَمـا كـانـا
لا تأخُـذِيـن فـؤادي تَلْعَبِيـنَ بِـهِ ... فَكَيْفَ يَلْعَبُ بالإنْسـانِ إنْسـانَـا[1]

فقلت في نفسي : إنّ أمّ عمرو هذه لو كان في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر ، فَعَشِقْتُها . ولمّا كان منذ يومين ، مرّ ذلك الرجل بعينه يقول :

لَقَـدْ ذَهَـبَ الحِمَـارُ بـأُمِّ عَمْـرٍو ... فلا رَجَعَـتْ ولا رَجَـعَ الحِمَـارُ

فقلْتُ : إنها ماتت ، فحزنت عليها ، وأغلقت المكتب ، وجلست في الدار .

حيلة المعلّم

قال الجاحظ : مَرَرْتُ أنظر إليه ، وإذا بصبيّ قد خرج من دار ، فقبض عليه المعلّم ، وجعل يلطمه ويسبّه ، فقلت : عرّفني خبره . فقال : هذا صبيّ لئيم ، يكره التعليم ،ويهرب ، ويدخل الدار ولا يخرج ، وله كلب يلعب به ، فإذا سمع صوتي ظنّ أنّه صوت الكلب ، فيخرج ، فأمسكه .

(١) في البيت اختلاف في حركة الروي . فرويّ البيت الأول مفتوح . أما البيت الثاني فيجب أن يكون رويّه مضموماً ، وهذا عيب في القافية .

التلميذ الغبيّ

قال الجاحظ: مَرَرْتُ بمعلّم، يضرب ديكاً، ويقول له: ألفْ شين، ألف شين. فقلت له: ما هذا؟ فقال لي: أعزّك الله، آنظر إلى تلك المزبلة، وأشار إلى مزبلة أمام مكتبه، فقال: أنا أنصب فيها فخاخاً لصيد العصافير، فيأتي هذا الديك فيلتقط الحبّ الذي أجعله لها، فأقول له: «أش» فلا يفهمني، فقلت: لعلّه لا يعلم، وأردت أن أعلّمه حتّى يفهمني.

حدائق الأزاهر. ص ٢٧٥

ابتغاء ثواب الله

قال الجاحظ: دخلت على مؤدّب، ورأسه في حُجْر صبيّ، وفي أذنه خرقة معلّقة، وكان المؤدّب أصلع، والصبيّ يكتب في رأسه، ويمحوه بالخرقة، ثمّ يكتب مرّة أخرى، فقلت له: ما هذا الذي يصنع الصبيّ في رأسك؟ قال لي: يا فلان، هذا الصبيّ يتيم، وليس له لوح، ولا ما يشتريه به، فأنا أعطيه رأسي، ويكتب فيه ابتغاء ثواب الله!

حدائق الأزاهر. ص ٢٦١

الولد وأمّه

قال رجل لامرأته: الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيّباً!

فقالت: الحمد لله الذي لم يرْزِقْ أحداً مثل ما رَزَقَنا!

فناداه وسألاه: يا بُنَيَّ! من حَفَر البحر؟ أجاب: موسى بن عمران.

ـ ومن بلّطه؟

ـ محمّد بن الحجّاج.

فشقّت المرأة قميصها، ونَثَرتْ شعرها، وجَعَلَتْ تبكي. فقال لها زوجها: ما بك؟ قالت: لا يعيش ابني مع هذا الذكاء.

لستم أعظم من فرعون

أحضر أحد الولاة أعرابيّاً كان قد ادّعى النبوّة. قال الوالي: ما معجزتك؟ أجاب الأعرابي: إنّي أضع حصاة في الماء فتذوب. فقال الوالي: هيّا فأرنا. فأخرج الأعرابيّ حصاة من جَيْبه، ووضعها في إناء ماء، فذابت. فقال الوالي: لِنُعْطِك حصاة من عندنا. فأجاب الأعرابيّ على الفور: لستم أعظم من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، وكما علمتم أنّ فرعون لم يَقُل، لموسى، حين ألقى عصاه فإذا هي حيَّة تسعى: لن نرضى بعصاك، وإنّما نُعطيك عصاً من عندنا.

المقيّد لا تجاب دعوته

ادّعى أحدهم النبوّة في البصرة، فأُتي به سليمان بن عليّ[1] مقيّداً، فقال له: أنت نبيّ مُرْسل؟ قال: ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل، والله لولا أنّي مقيّد لأمرت جبريل يُدَمْدِمُها عليكم[2]! قال: والمقيّد لا تجابُ دعوته؟ قال: نعم، الأنبياء خاصة إذا قُيّدوا لا يرتفع دعاؤهم! فضحك سليمان، وقال: إنّي أطلقك الآن، فَأْمُرْ جبريل، فإنْ أطاعك آمَنّا بك، وصدّقناك قال: صدق الله

(١) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس (٨٢ هـ ـ ١٤٢ هـ = ٧٠١ ـ ٧٥٩) أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه (السفاح) إمارة البصرة. ثم عزله المنصور. (الزركلي ج٣، ص١٣٠)

(٢) يدمدمها عليكم: يهلككم.

حيث يقول: ﴿فلا يُؤمِنُوا حتّى يَرَوا العذابَ الأليم[1]﴾. فضحك سليمان، وسأل عنه فَشُهِدَ له أنّه محرور فخلّى عنه.

حدائق الأزاهر. ص ٢٥١

طفل يتكلّم في الساعة

ادّعى رجل النبوّة أيام المتوكّل[2]. فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبيّ؟ قال: نعم. قال: فما الدليل على صحّة نبوّتك؟ قال: القرآن الكريم يشهد بنبوّتي في قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصرُ اللهِ والفتْح[3]﴾، وأنا اسمي نصر الله. قال: فما معجزتك؟ قال: إيتوني بآمرأة عاقر أنكحها، تحبل بولد يتكلّم في الساعة، ويؤمن بي. فقال المتوكّل لوزيره الحسن بن عيسى: أعطه زوجتك حتى نبصر كرامته. فقال الوزير: أمّا أنا فأشهد أنّه نبيّ الله، وإنّما يعطي زوجته من لا يؤمن به! فضحك المتوكّل وعفا عنه.

أدبنا الضاحك. ص ٨٢

الملائكة لا تدخل السجون

سيقَ إلى المأمون رجل قد آدعى النبوّة. فسأله: ما الدليل على نبوّتك؟ أجاب الرجل: الدليل أنّي أعلم ما في نفسك. قال: وماذا في نفسي؟ أجاب: في نفسك أنّي كذّاب.

---

(١) يونس: ٨٨.

(٢) جعفر بن محمد بن هارون الرشيد (٢٠٦هـ ـ ٢٤٧هـ = ٨٢١ ـ ٨٦١). خليفة عباسي. كان جواداً، محبّاً، للعمران. هجاه الشعراء لأنه هدم قبر الحسين. وكثرت الزلازل في عهده. وكان يلبس زمن الورد الثياب الحمر، ويأمر بالفرش الأحمر ولا يرى الورد إلا في مجلسه، وكان يقول: «أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منّا أولى بصاحبه». (الزركلي. ج٢،ص١٢٧).

(٣) الفتح: ١

فضحك المأمون، وأمر بسجنه. وبعد أيّام دعاه وسأله: «وَهَلْ أُوْحِيَ إليك بشيْ؟ أجاب لا، لأنَ الملائكة لا تدخل السجون.

فضحك المأمون، وأخلى سبيله بعد أن وقف على توبته.

أحْمَدُ النبيّ

سأل المأمون أحد المتنبّئين: مَن أنت؟ فأجاب: أنا أحْمَدُ النبيّ! قال المأمون: لقد ادّعيت زوراً. وأمر أعوانهُ بِحَمْله وتأديبه. وفيما هو ذاهب خاطب المأمون بقوله: يا أمير المؤمنين، أنا أحْمَدُ النبيّ، فهل أنت تذمّه؟

فَسُرَّ منه المأمون، وعفا عنه.

فاطمة النبيّة

ادّعت امرأة النبوّة في عهد المأمون. ولما أُحْضِرت سألها: مَنْ أنت؟

ـ أنا فاطمة النبيّة.

ـ أتؤمنين بما جاء به محمّد (ص)؟

ـ نعم. كل ما جاء به حقّ.

ـ فقد قال: لا نبيّ بعدي!

ـ صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال لا نبيّة بعدي؟

فدهش المأمون وقال: للحاضرين أمّا أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجّة فليأتِ بها.

النويري: نهاية الأرب، ٤/١٤. بتصرف

النبيّ (ص) ومسيلمة الكذاب

أرسل مُسَيْلَمَة الكذّاب[1] إلى النبيّ محمّد (ص) يقول: سلام من مُسَيْلَمة رسول الله إلى محمّد رسول الله. أمّا بعد، فإنّي قد أشركت في الأمر مَعَك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون». فأجابه النبيّ محمّد (ص): «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإنّ الأرض لله يورثّها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

البطّيخ في ثلاثة أيّام

قال المأمون لأحد مدّعي النبوّة:

- أريد منك بطّيخاً في هذه الساعة! فقال الرجل:

- امْهِلْني ثلاثة أيام.

- لا أريد البطّيخ إلاّ الساعة.

- ما أنصَفْتَني يا أمير المؤمنين.. فالله تعالى، خالق السموات والأرض في ستّة أيّام، لا يُخْرِجه من الأرض إلاّ في ستّة أشهر، أفلاَ تصبر عليّ ثلاثة أيام؟!

فضحك المأمون منه وأجازه.

---

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي (... - ١٢ هـ = ... ٦٣٣) متنبيء، وضع أسجاعاً يضاهي بها القرآن الكريم. وفيه يضرب المثل في الكذب: «أكذب من مسيلمة». (الزركلي. ج٧، ص٢٢٦)

أوّل من آمن وصدّق.

ادّعى رجل في آخر أيّام المأمون أنه إبراهيم الخليل[1]. ولمّا أُحضِر إلى المأمون، قال له: إنّ إبراهيم الخليل كانت له معجزات وبراهين. قال: وما براهينه؟ قال: أضرِمت له نارٌ، وأُلقي فيها، فصارت عليه بَرْداً وسلاماً، ونحن نوقد لك ناراً، ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنّا بك. قال: أريد واحدة أخفّ من هذه. قال: فبراهين موسى؟ قال: ألقى عصاه فإذا هي حيّةٌ تسعى، وضرب بها البحر فَٱنْفَلَقَ، وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء. قال: وهذه أصعب من الأولى. قال: فبراهين عيسى؟ قال: وما براهينه؟ قال: إحياء الموتى. قال مكانك، وصلت. أنا أضرب رَقَبَةَ القاضي يحيى بن أكثم[2]، وأحْييه لكم الساعة. فقال يحيى: أنا أوّل من آمن بك وصدّق.

المستطرف. ج ٢، ص ٣٠٤

برج التيس

سأل منجّم أحدهم: ما نجمك؟ قال: التيس. فضحك الحاضرون، وقالوا: ليس في النجوم والكواكب تيس. قال: بلى، قد قيل وأنا صبيّ منذ عشرين سنة، نجمك الجدي. فلا شك أنّه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت

البيان والتبيين. ج ٢، ص ٢٣٤

---

(١) إبراهيم الخليل هو خليل الله، وأبو المؤمنين. تلقّى الوحي في أور الكلدانيين جنوبي العراق. وهو ابو اسحق ويعقوب. (المنجد. ص٧).

(٢) يحيى بن أكثم بن محمّد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي (١٥٩ هـ ٢٤٢ هـ = ٧٧٥ - ٨٥٧). قاضٍ رفيع القدر، عالي الشهرة، يتّصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب. كان مع تقدّمه في الأدب والفقه، حلو الحديث، حسن العشرة، حتى استولى على قلب المأمون الذي أمر بأن لا يحجب عنه ليلاً ولا نهاراً. (الزركلي ج٨، ص١٣٨).

أشعب والسمكات

كان قوم من أهل المدينة يأكلون السمك. فإذا بأشعبَ[1] يستأذن عليهم. فقال أحدهم: إنّ أشعب يميل إلى أكل السمك الكبير، فاّجعلوا كبار هذا السمك في قصعة بناحية، وَلْندعهُ يشاركنا في أكل الصغار. ففعلـوا. وأذن لأشعب بالدخول، فسألوه: كيف رأيك بالسمك؟ فقال: إنّ لي عليها لحرداً شديداً، وحنقاً، لأنّ أبي مات في البحر، وأكلته الأسماك. فقالوا له: خذ بثأر أبيك. فجلس، ومدّ يده إلى سمكة صغيرة، ثمّ وضعها عند أذنه، وقد نظر إلى القصعة التي فيها السمك الكبير في زاوية المجلس، وقال: أتدرون ما تقول لي هذه السمكة؟ قالوا: لا. قـال: تقـول لـي إنّهـا لـم تحضـر مـوت أبي، ولا أدركته لأنّها لا زالت صغيرة السنّ، ولكن عليك بالأسماك الكبيرة التي في زاوية البيت، فهي التي أدركت أباك وأكلته.

أشعب ومائدة الطعام

كان أشعب يقصّ على أحد الأمراء قصصاً مسلّية، ولمّا أحضرت المائدة، كان أشعب قد بدأ حكايته بقوله: كان أيّها الأمير رجل... وعندما علم أنّ طول الحكاية ستُلْهيهِ عن الأكل سكت. فقال له الأمير: وماذا بعد يا أشعب؟ أجاب: مات.

---

(١) أشعب (... ١٥٤هـ = ... - ٧٧١). طريف من أهل المدينة، نشأ في صحبة أولاد الخلفاء كان حسن الصوت، شديد الطمع، ضرب به المثل فقيل: «أطمع من أشعب» أخباره كثيرة في الأدب. (المنجد. ص٤٨).

أشعب وعائشة

كانت عائشة بنت طلحة من أجمل نساء عصرها ولكنّها سيئة الخلق، وكانت تسير سافرة الوجه، فشكا زوجها، مُصعب بن الزبير[1]، أمرها إلى أشعب، بعد أن غضبت عليه، فقال له:

- ما لي إنْ رَضِيَتْ؟ فقال زوجها: عشرة آلاف درهم.

- فانطلق أشعب مسرعاً إلى عائشة، وقال لها:

- جُعِلتُ فداك، فإنّ مصعب قد جعل لي عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه.

- وَيْحكَ يا أشعب، لا أستطيع!

أرجوك، اَرْضي عنه إلى أن يُعْطيَني حقّي، ثم عودي إلى ما عوّدك الله من سوء الخلق. فضحِكَتْ وَرَضيَت عنه.

أشعب والدينار

قال أشعب لآمرأة تحمل ديناراً: أعطيني هذا الدينار حتى يَلِد لَكِ كل أسبوع درهماً. وفي الأسبوع الرابع، طلبته منه فقال لها: إنه مات في النفاس. فتعجّبت وقالت: كيف يموت الدينار؟ فقال: كيف تقتنعين بولادة الدينار وتنكرين موته في نفاسه؟!

---

(١) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٦هـ ٧١هـ = ٦٤٧ - ٦٩٠). أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام، وأخ عبد الله بن الزبير، وكان ساعده الأيمن. قتله زائدة بن قيس السعدي أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان، وحمل رأسه الى عبد الملك بن مروان. (الزركلي. ج٧، ص٢٤٨).

خذ العود لعلك تعود

قال أشعب لِقَيْنَة كان يطارحها الغناء: أعطيني خاتمك حتى أذكرك به. فقالت له: هذا خاتم من ذهب، فأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود، فلعلّك تعود. (وناولته عوداً يابساً).

استحسان خفّة الموت

كانت امرأة شهيرة بإصابة العين، لا تنظر إلى شيء باستحسان إلاّ عانته، فدخلت على أشعب، وهو في الموت فقال لها: إن استحسنتِ منّي شيئاً فصلّي على النبيّ. فقالت: أيّ شيء أنت ممّا يُستحسن؟ أنت في آخر رَمَق قال: قد علمت، ولكني قلت لئلاّ تكوني قد استحسنت خفَّة الموت عليّ وسهولة النزع، فيشتدّ ما أنا فيه. فخرجت المرأة من عنده وهي تسبّه. وضحك مَنْ حوله من كلامه، ومات.

العمري: من كل واد حجر. ص ١٩٨

الفصل السابع

من نوادر وطرائف البخلاء والطُّفَيْلِيِّين

فاقرأْ عليهم سورة المائدة

دعا أبو عبد الله بن الحجّاج رجلاً إلى الطعام، وأَخَّره إلى المساء، فقال:

يـا ذاهبـاً فـي دَارِهِ جـائيـاً   بغَيْـرِ مَعْنًـى وَبِلاَ فَـائِـدَهْ
قَدْ جُنَّ أضْيَـافُـكَ مِـنْ جُـوعِهِـمْ   فَـاَقْـرَأْ عليهـم سُـورَةَ المـائِـدَهْ

الثعالبي: خاص الخاص. ص١٦٨

حرّ لوجه الله

قال أحد الأغنياء البخلاء لخادمه: هاتِ الطعام.. وأغلق الباب. فقال الخادم: «هذا خطأ، يا سيّدي.» قال: ولماذا؟ قال الخادم: قُلْ: أَغْلِقِ الباب.. وهاتِ الطعام. فقال السَّيِّد: أنت حرّ لوجه الله.. وذلك لمعرفتك بعزم الأمور.

العربي: تشرين/٢، ١٩٨٥

الهارب من ضيفه

نزل على ابن أبي حفصة(1) الشاعر رجل من اليمامة(2)، فأخْلَى له المنزل، ثمّ هرب مخافة أن يلزمه قِراه(3) في هذه الليلة. فخرج الضيف، واشترى ما احتاج إليه، ثم رجع وكتب إليه.

يــا أيّهــا الخــارجُ مــن بَيْتِــهِ   وهــاربــاً مــن شِــدّةِ الخَــوْفِ
ضَيْفُــكَ قــد جــاء بــزادٍ لــه   فَارجعْ وَكُنْ ضَيْفاً على الضَّيْفِ

الابشيهي. المستطرف ١/٢٣٤

البخيل والحطاب

استكثر أحد البخلاء أجْرَ حَطّاب، فطمع في مشاركته العمل كي ينقص له الأجر. فجلس يقول: هِيهْ، لكل ضربة يضربها الحطّاب. ولمّا انتهى، أعطاه نصف الأجرة، فتخاصما إلى حاكم وكان من الظرفاء، فقال: هاتِ الأجرة أقسمها لكما فشرع يلقي درهماً على صندوق ويقول:

الدرهم للأجير وطنينه للمستأجر.

المراح ص٣٤ الحاشية

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة (١٠٥هـ - ١٨٢هـ = ٧٢٣ - ٧٩٨). شاعر عالي الطبقة. مدح المهدي والرشيد ومعن بن زائدة، وهجا العلويين. (الزركلي. ج٧، ص٢٨).

(٢) اليمامة: بلاد وسط الجزيرة العربية، من مقاطعات نجد. وهي اليوم «العارض» في العربية السعودية.

(٣) قراه: ضيافته.

الرازي وبعض أهل دمشق

أنشد أبو طالب البريديّ الرازي لبعض أهل دمشق:

وَدَعَوْتَني فَـأَكَلْـتُ عِنْـدَكَ لُقْمَـةً ... وَشَرِبْتُ شُرْبَ مَنْ آسْتَتَمَّ[1] خروفـا
وَسَأَلْتَني فـي إِثْـر ذلـك حـاجَـةً ... ذَهَبَتْ بمالـي تَـالِـداً وطـريفـا[2]
فَجَعَلْتُ أُفَكِّرُ فِيـكَ بـاقـي ليلتـي ... ما كُنْتَ تَفعَلُ لو أكَلْـتُ رغيفـا؟

البغدادي. البخلاء، ص١٠٩.

سافِروا تَغْنَموا

قالَ الصوري[3]

وَأَخٍ مَسَّـهُ نُـزولـي بِقَـرْحٍ ... مِثْلَمَا مَسَّنِي مِـنَ الجُـوعِ قَـرْحُ[4]
فَأَبْتَدَاني يَقُولُ وَهْـوَ مـن السَّكْـرَ ... ةِ طـافِـحٌ لَيْسَ يَصْحُـو
لِمَ تَغَرَّبْتَ؟ قُلْتُ: قالَ رسـولُ اللهِ ... والقـولُ مِنْـهُ نُصْـحٌ وَنُجْـحُ[5]
«سَافِرُوا تَغْنَمُوا» فقالَ وقـد قـالَ ... تَمَامُ الحَديثِ: «صُومُوا تَصُحُّـوا»

البغدادي. البخلاء، ص٧٣.

---

(١) استتم: أكل.

(٢) التالد: الموروث. الطريف: المكتسب.

(٣) هو عبد المحسن بن محمّد بن أحمد بن غالب الصوري (٣٣٩ هـ - ٤١٩ هـ = ٩٥٠ - ١٠٢٨). شاعر حسن المعاني، من أهل صور في بلاد الشام، ويلقب بابن غليون. (الزركلي. ج ٤، ص١٥٢).

(٤) القرح: الجرح.

(٥) النجح: النجاح.

أيكم صاحبها

اشترى أحد البخلاء لحماً وَطَبَخَه، وكان له ثلاثة أولاد. ولمّا انتهى من أكله، وأولاده يرمقونه، قال لهم: العَظْمَة من نصيب مَنْ يُحْسِن وصف أكلها. فقال الأكبر: أمشمشها[1]، وأمصّها حتى لا أدع للذرّ[2] فيها مقيلاً. فقال الأب: لَسْتَ بصاحبها. وقال الأوسط: ألوكها، وألْحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أو لعامين. فقال الأب: لست كذلك بصاحبها. وقال الأصغر: أمصّها، ثم أدقّها وأسفّها[3] سفّاً. قال الأب: أنت صاحبها، وهي لك، زادَكَ اللهُ معرفة وحزماً.

بخل أهل مرو

يقول ثمامة: لم أرَ الديك في بلدة قطّ إلاّ وهو لاقط، يأخذ الحبَّة بمنقاره، ثم يَلْفُظها قدّام الدجاجة، إلاّ دِيكَة مرو. فإنّي رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبّ. فعلمت أنّ بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فَمِنْ ثَمَّ عمّم جميع حيوانهم.

وحدّثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد، فقال: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقلت له، إمّا عابثاً، وإمّا ممتحناً: أطعمني من خبزكم. قال: لا تريده، هو مر. قلت: أسقني من مائكم. قال: لا تريده هو مالح. قلت: هاتِ لي من كذا أو كذا... قال: هو كذا وكذا..

---

(١) أمشمشها: أشمّها.

(٢) الذرّ: صغار النمل.

(٣) أسفّها: أتناوله يابساً غير ملتوت.

فعددت أصنافاً كثيرة، كلّ ذلك يمنعنيه، ويبغّضه إليّ، فضحك أبوه، وقال: ما ذنبنا؟ هذا من عِلْمِهِ ما تسمع! قلت: يعني أنّ البخل طبع فيهم، وفي أعراقهم وطينتهم.

الجاحظ: البخلاء.

البخيل والدرهم

خاطب أحد البخلاء درهمه بقوله:

كم من أرض قد قطعت، وكم من كيس قد فارقت، وكم من خامل قد رفعت، ومن رفيع قد أخملت، لك عندي أن لا تَعْرى ولا تَضْحَى. ولمّا يلقيه في كيسه يقول: «اَسْكُنِ الآن على اَسْم الله في مكان لا تُهَانُ فيه، ولا تُذَلّ، ولا تُزعج منه.

الجاحظ.

الولد فاق أباه

اشترى رجل من أهل الكوفة جبنة لعياله، وقال: يكفيكم أن تَمْسَحُوا خبزكم بها. فما زالوا كذلك حتّى ضجروا منه. وتمنّوا موته، فمات، وورثه ابنه، فقال: إنّ أبي كان مسرفاً في ماله! فجعلها في جراب، وعلّقها، وقال: تكفيكم رائحتها، والإيماء إليها! فترحّموا على الميت!

حدائق الازاهر. ص ١٥٢

الفقير والغنيّ

قال ابن حسّان: كان عندنا رجل مُقِلّ[1]، وكان له أخ مُكْثِر[2]، وكان مُفْرِط البخل، شديد الفخر. فقال له يوماً أخوه:

- وَيْحَكَ، أنا فقير معيل، وأنت غنيّ خفيف الظهر، لا تُعِيْنني على الزّمان، ولا تؤاسيني ببعض مالك، ولا تتفرّج لي عن شيء، والله ما رأيت قطّ، ولا سمعت بأبْخَلِ منك.

- وَيْحَكَ، ليس الأمر كما تظنّ، ولا المال كما تَحْسَبُ، ولا أنا كما تقول في البخل، ولا في اليسر! والله لو مَلَكتُ ألف ألف درهم لوهبت لك منها خمسمائة ألف درهم. يا هؤلاء فَرَجُلٌ يَهَبُ في ضربة واحدة خمسمائة ألف سمعت بأبْخَل منك. فقال له أخوه:

من لا يشبع من القليل لا يشبع من الكثير

شكا خادم أبي العتاهية[3] مولاه إلى محمّد بن عيسى، بأنّه لا يشبعه. فوعده محمّد بأن يكلّم أبا العتاهية.

وذات مرّة، جلس محمّد بن عيسى مع أبي العتاهية، فمرّ بهما الخادم، فقال محمّد: يا أبا إسحق، كم تعطي هذا الخادم في اليوم؟ أجاب أبو العتاهية: «رغيفين». فقال محمّد: هل يكفيانه؟ قال أبو العتاهية: من لا يشبع من القليل لا يشبع من الكثير.

---

(١) مقل: فقير.

(٢) مكثر: غني.

(٣) هو إسماعيل بن القاسم بن سُويد العيني (١٣٠هـ - ٢١١هـ = ٧٤٨ - ٨٢٦) شاعر مكثر، سريع الخاطر، كني بأبي العتاهية لميله إلى المجون. أجاد الزهد والمدح. (الزركلي. ج١، ص٣٢١).

ولمّا مات الخادم، كفّنه أبو العتاهية بقُماش عتيق، فقال له محمّد: «تكفنه في خَلَقٍ، ويكفيك له دينار؟!» فقال أبو العتاهية: الحيّ أولى بالجديد من المَيْتِ. فقال محمّد: يرحمك الله، يا أبا إسحق، لقد عوّدته الاقتصاد حيّاً ومَيْتاً.

العسل يحرق القلب

حُكي عن بعض البخلاء أنّه آسْتَأْذَن عليه ضَيْف، وبين يَدَيْه خبز وزبديّة[1] فيها عسل. فرفع الخبز، وأراد أن يرفع العسل، فدخل الضيف قبل أن يرفعه. فظنّ أنّ ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز. فقال له: ترى أن تأكل عسلاً بلا خبز؟ قال: نعم. وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة. فقال له البخيل: مهلاً يا أخي، إنّه يحرق القلب! قال: نعم، صدقت، ولكن قلبك!

المستطرف. ج١، ص٢١٩.

الإصلاح

وكان بالكوفة رجل يقال له مصلح، فبلغه أنّ بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدماً في شأنه، فسار الكوفي إلى البصرة. فلمّا قدم عليه، قال له: من أنت؟ قال: أنا مصلح جئتك من الكوفة لمّا بلغني خبرك، فرحّب به وأدخله موضعه، وخرج يشتري له ما يأكل. فأتى جبّاناً، فقال له: أعندك جبن؟ قال عندي جبن كأنه سمن! فقال في نفسه: لِمَ لا أشتري سمناً حين هو يضرب به المثل؟! فذهب إلى من يبيع السمن، فقال له: أعندك سمن؟ فقال عندي سمن كأنّه زيت! فقال في نفسه: لِمَ لا اشتري زيتاً حين هو يضرب به المثل؟! فذهب إلى زيّات، وقال: أعندك زيت؟ قال: عندي زيت صافٍ كأنّه الماء!

(١) زبديه: صحفة من خزف.

فقال في نفسه: لم لا آخذ ماءً حين هو يضرب به المثل؟! فرجع إلى بيته، وأخذ صحفةً وملأها ماء، وقدّمها للضيف مع كُسَيرات يابسة، وعرّفه كيف جرى له. فقال الكوفي: أنا أشهد أنك بالإصلاح أحقّ من أهل الكوفة.

حدائق الازاهر. ص١٨٦ - ١٨٧

الغاوي والشعراء

نظر طُفَيليّ إلى جماعة من الناس يسيرون، فتبعهم ظنّاً منه أنّهم ذاهبون إلى وليمة. ولمّا دخلوا دار السلطان، أنشد كلٌّ واحد منهم قصيدة في مدحه، فنالوا جائزته، إلاّ هذا الطفيليّ الذي بقي جالساً، ساكتاً لا يتحرّك. فقال له الحاجب: وَيْحَك ماذا تنتظر، هاتِ أَنْشدْ شعرك! فقال له: لست بشاعر. فقال: مَنْ أنت إذن؟ قال: أنا من الغاوين الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿والشُّعراء يَتَّبِعُهُمُ الغاوون[1]...﴾ فضحك السلطان، وأجازه.

صِلْ من قطعك

كان بالبصرة طفيلي مشهور، وكان ذا أدب، فمرّ على قومٍ عندهم وليمة، فاقتحم عليهم، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِي، فأنكره صاحب المنزل. فقالوا له: لو تأنّيت أو صبرت يا هذا حتّى يُؤْذَنَ لك، لكان أحسن لأدبك، وأجلّ لمروءتك! فقال: إنّما اتُّخِذَتِ البيوتُ ليُدخل فيها، ووُضِعَتِ الموائد ليُؤْكل عليها، والحشمة قطيعة، واطّراحها صِلَة، وقد جاء في بعض الآثار: صِلْ مَنْ قَطَعَك، وأحْسِنْ إلى من أساء إليك.

حدائق الازاهر. ص٣٧٣

---

(١) الشعراء: ٢٢٤.

سورة المائدة

سُئِل طفيلي: أي سورة قرآنيّة تعجبك؟ قال: سورة المائدة.

- وأي آية تفضّل؟

- ﴿ذَرْهُم يأكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا[1]﴾.

- ثمّ ماذا؟

- ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا[2]﴾.

- ثمّ ماذا؟

- ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمنين[3]﴾.

- ثمّ ماذا؟

- ﴿وما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِين[4]﴾.

الحياة حرام بعدكم

دخل طفيليّ على قومٍ يأكلون، فقال: ما تأكلون؟ فقالوا من بغضه: سُمّاً. فأدخل يده، وقال:

- الحياة حرام بعدكم!

العقد الفريد. ج٦، ص٢٠٧

---

(١) الحجر: ٣.

(٢) الكهف: ٦٢.

(٣) الحجر: ٤٦.

(٤) الحجر: ٤٨.

أكره أن أكثر من مخالفتكم

قيل لطفيليّ: اشتر لنا لحماً. فقال: لا أُحْسِن الشراء. فقيل له: أوْقِدِ النار. قال: أنا كسلان. فقيل له: أطبخ. فقال: لا أُحْسِنُ الطبخ. ولما انتهى الطعام، قيل له: تقدّم فَكُلْ. فقال: أكره أن أُكْثِرَ من مخالفتكم.

محاضرات الأدباء ١: ٣٩٤

الطفيليون الثلاثة

اجتمع ثلاثة من الطفيليين، فلم يظفروا بأكل، ولا قدروا عليه، فاجتمع رأيهم على أن يأتوا صاحب الشواء والرّقاق، ولا يكون إقبالهم في دفعة لئلاّ يشعر بهم. فتقدّم أحدهم، فأخذ شواء ورقاقاً، ودخل يأكل، فلمّا أمعن أقبل الثاني، فأخذ مثل الأوّل، وقعد ناحية يأكل؛ ثمّ أقبل الثالث، فأخذ مثلهما. ولمّا انتهوا، قام الأوّل يريد الخروج فقال له الشوّاء :هاتِ ما عليك؟! قال له: دفعت لك! قال له: متى؟! قال الثاني حين أعطيتك أنا! قال له: ومتى أيضاً أعطيتني أنت؟ فقام الثالث إليه حَنِقاً، وهو يقول: أتراك يا ابن الفاعلة تنكرني كما أنكرت هذين؟! فلمّا سمع الشواء كلامهم علم أنّهم طفيليّون، فترك سبيلهم.

حدائق الازاهر. ص٢٢٧

الفصل الثامن

من نوادر وطرائف الأزواج

العجوز المتصابية

مَرضتْ عجوز، فأتاها ابنها بطبيب، فرآها متزيّنة بأثواب مصبوغة، فعرف ما بها. فقال الطبيب: ما أحوجَها إلى زوج! فقال الابن: وما حاجة العجائز للأزواج؟ أجابت الأم على الفور: ويحك! الطبيبُ أَعلَمُ منكَ على كلّ حال.

البرقوقي: دولة النساء. ص٥٨

المرأة الحولاء

تزوّج جُحَا[١] آمرأة حولاء ترى الشيء شيئين، فلما أراد الغداء أتى برغيفين، فَرَأَتْهُما أربعة. ثم أتى بالإناء فوضعه أمامها، فقالت له: ما تصنع بإناءين وأربعة أرغفة؟ يكفي إناء واحد ورغيفان. ففرح جُحا، وقال: يا لها من نعمة! وجلس يأكل معها، فرمته بالإناء بما فيه، وقالت له: هل أنا فاجرة حتّى تأتي برجل آخر معك لينظر إليّ؟ فقال جُحَا: يا حبيبتي آبصري كل شيء آثنين إلاّ زوجك.

فَرج: اخبار جحا. ص١٦١

---

(١) جُحا الكوفي الفزاري (... نحو ١٣٠هـ = ... نحو ٧٤٧). صاحب النوادر، يضرب فيه المثل في الحمق والغفلة. له روايات كثيرة في المداعبة والمزاح والنوادر. (الزركلي. ج٢، ص١١٢)

والشيبُ يغمزها بأن لا تفعلي

قال العُتْبي(1): رأيت امرأة، فأعجبتني صورتها، فقلت: أَلَكِ بَعْلٌ؟ قالت: لا. قلت: أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم، ولكنّ خَصلة أظنّها لا ترضيك. قلت: وما هي؟ قالت بياضٌ برأسي. قال: فثنيت عنان فرسي، وسرت قليلاً. ونادتني: أقسمت عليك لتقفنّ، ثم أتت إلى موضع خالٍ، فكشفت عن شعر كأنّه العناقيد السوداء، فقالت: والله ما بلغت العشرين. ولكنّي عرّفتك أنّا نكره ما تكره منّا. قال فخجلت، وسرت وأنا أقول:

فَجَعَلْتُ أطْلُبُ وَصْلَها بِتَمَلُّقٍ والشيبُ يَغْمِزها بأن لا تفعلي

الخطيب: متعه الأديب. ص٨٨

بين الزوجة والضرّة.

قيل لأعرابيّ: مَن لم يتزوّج امرأتين لم يذق حلاوة العيش، فتزوّج امرأتين، ثمّ ندم، فأنشأ يقول:

تَزَوَّجْتُ اثْنيْنِ لِفرْطِ جَهْلي بما يَشْقَى به زَوْجُ اثْنَتيْنِ
فَقُلْتُ أصيرُ بَيْنَهُمَا خَرُوفاً أنَعَّمُ بَيْنَ أكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ
فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وتُمْسي تُدَاولُ بَيْنَ أخْبَثِ ذئبَتَيْنِ(2)
رِضَا هذي يُهَيِّجُ سُخْطَ هذي فما أعرَى مِن احْدى السَّخطَتَيْنِ
وَألْقَى في المَعيشَةِ كُلَّ ضُرٍّ كذاك الضُّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ
لِهذي لَيْلَةٌ وَلِتِلْكَ أخْرَى عِتَابٌ دَائِمٌ في اللّيْلَتَيْنِ

---

(1) محمد بن عبيد الله بن عمرو (... - ٢٢٨هـ = ... - ٨٤٢) أديب كثير الأخبار، حسن الشعر. وأكثر أخباره عن بني أميّة. (الزركلي. ج٦، ص٢٥٨ - ٢٥٩).

(2) تداول: تنتقل.

فإنْ أحْبَبْتَ أن تَبْقَى كَرِيماً مِنَ الخيراتِ مَمْلُوءَ اليدَيْنِ
فَعِشْ عَزَباً فإن لم تَسْتَطِعْهُ فَضَرْباً في عِراضِ الجَحْفَلَيْنِ[١]

القرطبي: بهجة المجالس. ص ٤١

بين النساء الأربع

سَمِعَ الضحّاكُ[٢] الحجّاج[٣] يقول: «لا تجتمع لرجل لذّة حتى يتزوّج أربع حرائر.» فعمد الضحّاك إلى بيع كلّ ما يملك وتزوّج أربع نساء. ولمّا لم يتّفق معهنّ، قصد الحجّاج قائلاً: سمعتك ـ أصلحك الله ـ تقول: لا تجتمع لرجل لذّة حتّى يتزوّج أربع حرائر، فعمدت إلى قليلي وكثيري فبعته، وتزوّجت أربعاً، فلم توافقني واحدة منهنّ. فالأولى لا تعرف الله، ولا تصلّي، ولاتصوم. والثانية: حمقاء، والثالثة: مذكّرة متبرّجة، والرابعة ورهاء[٤] لا تعرف ضرّها من نفعها، وقد قلت فيهن شعراً، قال هاتِ ما قلت للهِ أبوك. فقال:

تَزَوّجْتُ أبغي قُرّةَ العينِ أربعاً فَيَا لَيْتَنِي واللهِ لم أتَزَوّجِ[٥]
وَيَا لَيْتَنِي أعْمَى أصَمٌّ ولم أكُنْ تَزَوّجْتُ بل يا لَيْتني كنتُ مُخْدَجُ[٦]
فَواحِدَةٌ لا تَعْرِفُ اللهَ رَبّها ولم تَدْرِ ما التّقْوَى ولا ما التحرّجُ

(١) الجحفلان: جيشان كبيران. والمعنى، أن يعرّض نفسه للموت كي يستريح.
(٢) الضحاك بن قيس الشيباني (... - ١٢٩هـ = ... - ٧٤٦) زعيم حروريّ، من الشجعان الدهاة. حارب الخليفة الأموي، مروان بن عبد الملك، فقتل في نواحي ماردين. قال الجاحظ في وصفة: من علماء الخوارج، ملك العراق، وسار في خمسين ألفاً وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصلّيا خلفه. (الزركلي. ج٣، ص٢١٥)
(٣) راجع ترجمة في الفصل الأول
(٤) ورهاء: سمينة، حمقاء.
(٥) قرّة العين: ما يسرّ العين.
(٦) مخدج: مشوّه أو ناقص الخلقة. وفي هذا البيت وما يليه إقواء.

وثانيةٌ حمقاءُ تزني مخافةً   تَوَاثِبُ مَنْ مَرَّتْ به لا تُعَرِّجُ
وثالثةٌ ما إن تُوارى بثوبها   مُذَكَّرةٌ مشهُورَةٌ بالتَّبَرُّجِ
ورابعةٌ ورهاءُ في كُلِّ أمرِها   مُفَرَّكَةٌ هَوْجَاءُ من نَسْلِ أهْوَجِ[1]
فَهُنَّ طلاقٌ كُلُّهُنَّ بَوَائِنٌ   ثلاثاً بَتَاتاً فاشْهَدُوا لا أَلْجَلِجُ[2]

فضحك الحَجَّاجُ، وقال: وَيْلَكَ كم مَهرْتَهُنَّ؟ قال: أربعة آلاف أيها الأمير. فأمر له باثني عشر ألف درهم.

الغالي: ذيل الأمالي. ص٤٧

هل يصلحُ العطار ما أفسد الدهر؟!

يقول أبو الزوائد الأعرابيّ في زوجته العجوز المتصابية:

عَجُوزٌ تُرَجِّي أن تَكُونَ فَتِيَّةً   وَقَدْ لَحِبَ الجَنْبَانِ وَاحْدَوْدَبَ الظَّهرُ[3]
تَدُسُّ إلى العطَّارِ مِيرَةَ أهْلِها   وَهَلْ يُصْلِحُ العَطّارُ ما أفْسَدَ الدهرُ[4]
وَمَا رَاعَنِي إلاّ خِضَابٌ بِكَفِّها   وَكُحْلٌ بِعَيْنَيْهَا وَأثْوابُها الصُّفْرُ[5]
وَزُوِّجْتُها قَبْلَ المُحَاقِ بِلَيْلَةٍ   فكان مُحَاقاً كُلَّهُ ذلك الشَّهْرُ[6]

الأنباري: الأضداد. ص١٥٤

---

(١) مفرّكه: مكروهة من الرجال.
(٢) بوائن: طلاق لا عودة عنه ـ ألجلج: أتردّد، أي قرار نهائي.
(٣) لَحِبَ: ضَعُفَ. احدودب: أعوَجَّ أوتقوّس.
(٤) تدسّ: تُعطي ـ الحيرة: ما يدّخره الإنسان
(٥) راعني: أخافني، وهنا بمعنى أدهشني. خضاب: ما يُلَوِّن به
(٦) المحاق: آخر الشهر القمريّ.

وأنتِ أيضاً طالق

قال الأصمعي[١]: قلت للرشيد[٢] يوماً: بَلَغَني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلّق خمس نسوةٍ، قال الرشيد: إنّما يجوز مُلْك رجل على أربع نسوة، فكيف طلّق خمساً؟ قلت: كان لرجل أربع نسوةٍ، فدخل عَليهنّ يوماً فَوَجَدَهُنّ متنازعاتٍ وكان الرجل سيّءَ الخُلُق، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلاّ من قبَلكِ - مشيراً إلى إحداهنّ - آذْهَبي فأنتِ طالِق! فقالت له صاحبتها: عَجَّلْتَ عليها بالطلاق، ولو أدَّبتها بغير ذلك، لَكُنْتَ حَقيقاً، فقال لها: وأنتِ أيضاً طالق. فقالت له الثالثة: قبّحك الله! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مُفْضِلَتين! فقال وأنتِ أيّتها المعدّدةُ أياديهما[٣] طالق أيضاً. فقالت له الرابعة، وكانت هلاليّة، وفيها أناة[٤] شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدّب نساءك إلاّ بالطلاق! فقال لها: وأنت طالق أيضاً. وكان ذلك بمسمع من جارة له، فأشرفت عليه، وقالت: والله ما شَهِدَتِ العرب عليك، وعلى قومك إلاّ بالضعف، إلاّ لَما بَلَوْه منكم، أبيْتَ إلاّ طلاق نسائك في ساعة واحدة! قال: وأنتِ أيّتها المؤنّبة المتكلّفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه زوجها من داخل بيته: قد أجزتُ! قد أجزت.

البرقوقي: دولة النساء، ص٦٤٦

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الرابع.

(٢) راجع ترجمته في الفصل الأول.

(٣) الأيادي: الحسنات.

(٤) أناة: حلم.

انظر لنفسك بمن تقتدي

أراد نوح بن أبي مريم[1] أن يُزَوِّج آبنته، فآستشار جاراً له مجوسيّاً، فقال المجوسيّ: سبحان الله! الناس يستفتونك، وأنت تستفتيني؟! قال: لا بدّ أن تُشير عليّ. فقال: إنّ رئيس الفرس كسرى[2] كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر[3] كان يختار الجمال، ورئيس العرب كان يختار الحَسَبَ، ورئيسكم محمّد (ص) كان يختار الدِّين، فانظر لنفسك بِمَنْ تقتدي.

المستطرف. ١/١٠٢

الإمام الأعمش والأعمى

جرى بين الإمام الأعمش[4] وبين زوجته كلامٌ، وكان يأتيه رجل يقال له: أبو ليلى، مكفوف، فصيح يتكلّم بالإعراب، يتطلّب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى، آمرأتي نشزت[5] عليّ، وأنا أحِبّ أن تدخل عليها، فتخبرها مكاني من الناس، وموضعي عندهم. فدخل عليها أبو ليلى، وكانت من أجمل أهل الكوفة. فقال: يا هَنَتاه[6]، إنّ الله قد أحسن قِسْمَكِ، هذا شيخنا وسيّدنا،

---

(١) نوح بن يزيد (أبي مريم) بن جعونة المروزي (... - ١٧٣ هـ = ... - ٧٨٩) قاضي مرو، يلقّب بالجامع، لجمعه علوماً كثيرةً. (الزركلي ج٨، ص٥١)

(٢) راجع ترجمته في الفصل الخامس.

(٣) يوليوس قيصر من كبار رجال الدولة والقوّاد في روما والعالم. عشق كليوباترا ملكة مصر ورزق منها ولداً. (المنجد ص٥٦٠).

(٤) هو سليمان بن مِهْران الأسدي بالولاء (٦١ هـ - ١٤٨ هـ = ٦٨١ - ٧٦٥) تابعي مشهور، لقبه الأعمش، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح» وقال السخاوي: قيل: لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدّة حاجته وفقره. (الزركلي. ج٣، ص١٣٥).

(٥) نشزت: عَصَتْ.

(٦) هَنَتاه: مناداة للمرأة.

وعنه نأخذ أصل ديننا، وحلالنا وحرامنا، فلا يضرنّك عُمُوشة عَيْنَيه، ولا حموشة[1] ساقَيْه، وضَعف ركبتيه، فغضب الأعمش، وقال: يا أعمى، يا خبيث، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلّها، اُخرجْ مِنْ بيتي.

ابن خلكان: وفيات ٢/٤٠١

أبو العَنْياءِ وخطيبته.

قال أبو العيْنَاءِ[2]: خطبت آمرأةً فآسْتَقْبحتني، فكَتَبْتُ إليها:

فإن تَنْفُري مِنْ قُبْحِ وجهي فإنّني   أريبٌ أديبٌ لا غَبِيٌّ ولا فَدْمُ[3]

فأجابتني: ليسَ لديوانِ الرّسائلِ أريدُك!

النويري: نهاية الأرب. ٢/٢٢

وصيّة أم

تزوّج شُرَيحُ الراويةُ زينبَ. وبعد سنة، زارتها أمّها، فقالت لشريح: «لم يضمّ الرجل إلى نحره شرّاً من ورهاء[4]، وإنما زينب من النساء، فإن رابك[5] منها شيء فالسوط. فضحك شريحٌ ثمّ قال:

---

(١) حموشة: دقّة

(٢) محمد بن القاسم بن خلاّد بن ياسر الهاشمي بالولاء (١٩١ - ٢٨٣ هـ = ٨٠٧ - ٨٩٦) أديب فصيح، من ظرفاء العالم، وأسرع الناس جواباً. اشتهر بنوادره ولطائفه. كان ذكيّاً جداً حسن الشعر، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم. كفّ بصره بعد بلوغه الأربعين. (الزركلي. ج ٦، ص ٣٣٤).

(٣) فَدْم: ثقيل

(٤) ورهاء: حمقاء، سمينة.

(٥) رابك: وضعك في شكّ.

رأيتُ رِجالاً يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشُلَّتْ يَمِيني يَوْمَ أَضْرِبُ زَيْنَبا
وَكُلُّ مُحِبٍّ يَمْنَعُ الوُدَّ إلْفَهُ وَيَعْذِرُهُ يوماً إذا هو أذْنَبا

الزمخشري: ربيع الأبرار. ص٥١٨

المرعى الأنيق

قال أحد الحكماء لرجل جاء يسأله في الزواج:

افْعَلْ، يا بُنَيَّ، ولكن حَذارِ الجمال الفائق، فإنّه مرعًى أنيق. فأجاب الرجل:

- واللهِ ما نَهَيْتَني إلاّ عمّا أطْلُب! فقال الحكيم: أما سَمِعْتَ قول الشاعر:

وَلَنْ تُصَادِفَ مَرْعًى مُمْرِعاً أبَداً إلاّ وَجَدْتَ به آثارَ مُنْتَجِعِ.

الفصل التاسع

من نوادر وطرائف الشعراء

ليت التحيَّة!

مَرَّتْ يَوماً، عَزَّةُ(١)، حبيبه كُثَيِّر(٢) عزَّة، مع زوجها بِجَمَلٍ لِكُثَيِّر، فَسَلَّمَتْ على الجمَّال، وقيل: بلْ حَيَّتِ الجَمَل، فعلم كُثَيِّر بالأمر، فجاء إلى الجمل، وحلَّه، وأطلقه، وأنشد:

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الهَجْرِ وَانْصَرَفَتْ ... فَحَيِّ، وَيْحَكَ، مَنْ حَيَّاكَ، يا جَمَلُ
لَيتَ التَحِيَّةَ كانَتْ لي فَأَرْدُدَها ... مكانَ يا جَمَلُ حُيِّيتِ يا رَجُلُ

وأنت بذاك الفخر تفخر

رُوِيَ عن أبي الخطَّاب عمر بن عامر السعدي، وقد أنشد موسى الهادي شعراً مدحه فيه:

يا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كَفَّاهُ حُجْزَتَهُ(٣) ... وَخَيْرَ مَنْ قَلَّدَتْهُ أَمْرَها مُضَرُ

---

(١) عزَّة بنت حُمَيْل بن حفص بن إياس الحاجبيَّة الغفارية الضمريَّة (... - ٨٥ هـ = ... - ٧٠٤). صاحبة كثيِّر الشاعر. كانت غزيرة الأدب، رقيقة الحديث. (الزركلي. ج ٤، ص ٢٢٩).

(٢) كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (... - ١٠٥ هـ - ... ٧٢٣). شاعر متيَّم مشهور، دميم الخلقه في نفسه شمم وترفع. قال المرزباني: كان [كثيِّر] شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدِّمون عليه أحداً. (الزركلي. ج ٥، ص ٢١٩).

(٣) الحجزة: العشيرة.

فقال له موسى: «إلاّ مَنْ يا بائس؟» فقال:

إلاّ النبـيَّ رَسُـولَ اللهِ إنّ لـه ... فَخراً وأَنْتَ بذاكَ الفَخْرِ تَفْتخِرُ

ففطن موسى ومن بحضرته أنّ البيت مستدرك، ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه. فضاعف صلته.

ابن رشيق: العمدة. ١/١٩٠

أبو دلامة يهجو نفسه

قال المهدي[١] لأبي دلامة[٢]، وكان عنده جماعة من بني هاشم: إن لم تَهْجُ أحدا مِمّن في مجلسي قطعتُ لسانك.

فجال أبو دلامة نظره في الحضور، وكان كلّما نظر إلى أحدهم استرضاه بغمزة، أو بعضّة على شفته،...ممّا زاد في حَيْرَته، فهجا نفسه بقوله:

أَلاَ بَلِّـغْ لَـدَيْـكَ أبـا دُلامَـهْ ... فَلَسْتَ مِـنَ الكِـرَامِ وَلاَ الكَـرَامَـهْ
جَمَعْتَ دَمَـامَـةً وَجَمَعْـتَ بُـؤْسـاً ... كَـذَاكَ اللُّـؤْمِ تَتْبَعُـهُ الدَّمَـامَـهْ
إذا لَبِسَ العَمَـامَـةَ قُلْـتَ قِـرْداً ... وَخنـزيـراً إذا نَـزَعَ العَمَـامَـهْ

فضحك الحاضرون وأجازوه.

أبو دلامة وعلي بن سليمان

خرج المهديّ إلى الصيد برفقة عليّ بن سليمان[٣] الذي يكرهه أبو دلامة كثيراً. فاصطاد المهديّ ظَبْياً، وآصطاد عليّ كلباً من كلاب الصَّيد. فارتَجَلَ أبو دُلامة:

(١) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.
(٢) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.
(٣) راجع ترجمته في الفصل الثاني.

قَـدْ رَمَـى المَهْـدِيُّ ظبيـاً   شَـكَّ بـالسَّهْـمِ فُـؤَادَهْ
وعلــيُّ بْــنُ سُلَيْمَــانَ   رَمَــى كَلْبــاً فَصَــادَهْ
فَهَنِيئــاً لَهُمــا كُــلُّ   فتَــى يَــأْكُـلُ زَادَهْ

الظرف واللطف

تناظر في الإيلاء[1] كلّ من ابن داود الظاهري، وابن سُرَيْج[2]، في مجلس ابن الجرّاح[3]، فقال ابن سُرَيْج: أنت بقولك: مَـنْ كثُـرت لحظاتـه دامـت حسراته، أبصر منك بالكلام في الإيلاء. فقال أبو بكر: لئن قلتَ ذلك فإني أقول:

أنَزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مُقْلَتِي   وَأَمْنَـعُ نَفْسِي أنْ تَنَـالَ مُحَـرَّمـا
وأحْمِلُ مِنْ ثِقْلِ الهَوَى ما لَوَ اَنَّـهُ   يُصَبُّ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ تَهَـدَّمـا
وَيَنْطِقُ طَرْفي عَنْ مُتَرْجَمِ خَاطِـرِي   فلــولا اَخْتِلاســي رَدَّهُ لَتَكَلَّمـا
رأيتُ الهَوَى دَعْوَى من الناس كلّهم   فما إنْ أرَى حُبّاً صحيحاً مُسَلَّما

فقال ابن سُرَيْج: وَبِمَ تَفْتَخر عليّ ولو شئتُ أنا لقلت:

وَمُسَاهِـرٍ بـالغَنْـجِ مِـنْ لَحَظَـاتِـهِ   قَدْ بِـتُّ أمْنَعُـهُ لَـذِيـذَ سَنَـاتِـهِ[4]
ضَنّـاً بِحُسْـنِ حَـدِيثِـهِ وَعِتَـابِـهِ   وأكَـرِّرُ اللَّحظاتِ فـي وَجَنَـاتِـهِ

فقال أبو بكر: يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهِدَيْ عَدْلٍ أنه ولّى

---

(١) الإيلاء: قسم الزوج في طلاق زوجته.

(٢) أحمد بن عمر بن سريج البغدادي (٢٤٩هـ - ٣٠٦هـ = ٨٦٣ - ٩١٨) فقيه الشافعيّة في عصره. كان يلقّب بالباز الأشهب. ولي القضاء بشيراز. وكان حاضر الجواب (الزركلي. ج١، ص١٨٥).

(٣) محمد بن داود بن الجرّاح (٢٤٣هـ - ٢٩٦هـ = ٨٥٧ - ٩٠٩) أديب من علماء الكتاب. وهو عمّ «علي بن عيسى» الوزير. كان وزيراً في عهد عبد الله بن المعتز. (الزركلي. ج٦، ص١٢٠).

(٤) سناته: سباته، نومه.

بخاتم ربّه[1]. فقال ابن سُرَيْج: يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك:

«أنَزِّهُ في رَوْضِ المحاسِنِ مقلتي...»

فضحك الوزير، وقال: لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً وعلماً.

الصفدي: الوافي. ج ٣، ٦٠/٦١

قتيل الراح

كان لدى المأمون[2] يحيى بن أكثم[3]، وعبد الله بن طاهر[4]؛ فغمز المأمون الساقي أن يُسْكِرَ يحيى. فأخذ يحيى في الشراب حتّى فقد رشدَه وأعْيَا. وكان بين أيديهم ردم من الورد، فشقّوه، ودفنوه فيه. فنظم المأمون هذين البيتين:

نادَيْتُهُ وَهْوَ مَيْتٌ لا حِرَاكَ به ... مُكَفَّنٌ في ثِيَابٍ من رَيَاحِينِ
فَقُلْتُ: قم، قالَ: رِجْلي لا تُطَاوِعُني ... فَقُلْتُ: خُذْ، قال كَفّي لا تواتيني

وأمَرَ بعض جواريه أن تُغَنّيهما فوق رأسه.

وعلى ترداد الغناء، أفاق يحيى، فوجد نفسه ملقًى بين الورود، فأنشد مجيباً:

يا سَيِّدي وَأميرَ الناسِ كُلِّهِمُ ... قَدْ جَارَ في حُكْمِهِ مَنْ كان يَسْقِيني
إنّي غَفَلْتُ عن الساقي فَصَيَّرَني ... كَمَا تَرَاني سَلِيبَ العَقْلِ والدِّينِ
لا أستطيع نُهُوضاً قد وَهَى بَدَني ... ولا أُجِيبُ المُنَادِي حِينَ يَدْعُوني
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ قاضٍ إنّني رَجُلٌ ... الرّاحُ تَقْتُلُني والعُودُ يُحْيِيني

---

(١) ولّى بخاتم ربه: ذهب سالماً، لم يطرأ عليه أي تغيير.

(٢) راجع ترجمته في الفصل الخامس.

(٣) راجع ترجمته في الفصل السادس.

(٤) راجع ترجمته في الفصل الثاني.

عبد الملك والشعراء

اجتمع جرير[١]، والفرزدق[٢]، والأخطل[٣] في مجلس عبد الملك[٤]. فأحضر كيساً فيه خمسمائة دينار، وقال لهم: ليقل كلّ منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس.

فقال الفرزدق:

أنـا القَطِـرانُ والشُّعَـراءُ جَـرْبَـى ... وفـي القَطِـرانِ لِلْجَـربَـى شِفَـاءُ

فقال الأخطل:

فإنْ تَـكُ زِقَّ زَامِلَـةٍ[٥] فـإنّـي ... أنــا الطَّــاعُــونُ لَيْسَ لَـهُ دَوَاءُ

فقال جرير:

أنـا المَـوْتُ الذي آتــي عَلَيْكُـمْ ... فَلَيْسَ لِهَــاربٍ مِنّــي نَجَــاءُ

الأزدي: بدائع. ص٢٠

---

(١) جرير بن عطيّة بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبي اليربوعي (٢٨هـ - ١١٠هـ = ٦٤٠ - ٧٢٨) أشعر أهل عصره، وكان هجاءً، ساجل معظم شعراء عصره وخاصة الفرزدق والأخطل. كما كان من أغزل الناس شعراً، وكان غزله عفيفاً. (الزركلي. ج٢، ص١١٩).

(٢) همّام بن غالب بن صعصعه التميمي الدارمي (... - ١١٠هـ = ... - ٧٢٨) شاعر من النبلاء، عظيم الأثر في اللغة، وقيل فيه: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. (الزركلي. ج٨، ص٩٣).

(٣) غيّاث بن غوث بن الصلت التغلبي (١٩هـ - ٩٠هـ = ٦٤٠ - ٧٠٨) شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة. وهو أحد الثلاثة المتّفق على أنّهم أشعر أهل عصرهم: جرير، الفرزدق والأخطل. تهاجى مع جرير والفرزدق، وتناقل الرواة شعره. (الزركلي. ج٥، ص١٢٣).

(٤) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

(٥) الزاملة: الدابّة التي يحمل عليها.

أنسب العرب وأفخرها

لقي كثيِّرُ الفرزدقَ، فقال له الفرزدق، يعرّض له بسرقته للشعر: يا أبا صخر، أنت أنسب العرب حين تقول:

أريـدُ لأنسَى ذِكْـرَهـا فكـأنّمـا   تَمَثَّـلُ لـي لَيْلَـى بِكُـلِّ سَبِيـلِ[1]

فقال له كثيّر يعرّض بسرقته أيضاً: وأنت يا أبا فراس، أفخر العرب حيث تقول:

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنـا   وإنْ نَحْنُ أومأْنا إلَى النَّاسِ وَقَفُوا[2]

فقال له الفرزدق: هل كانت أمّك تَرِدُ البصرة؟ قال: لا، ولكن كان أبي كثيراً ما يَرِدُها.

حدائق الأزاهر. ص١١٤

الدرّتان الثمينتان

قال جحظة البرمكي[3]: إنّ البحتري[4] الشاعر دخل يوماً على المتوكّل[5]، فرأى في يَدَيْه دُرّتين، قال في وصفهما: ما رأيت أشرق من نورهما، ولا أنقى بياضاً، ولا أكبر، فأدَمْتُ النظر إليهما، ولم أصرف طرفي عنهما. ورآني

---

(١) (٢) هذان البيتان لجميل بن معمر سرق الفرزدق واحداً وكثيّر واحداً.

(٣) أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك (٢٢٤هـ - ٣٢٤هـ = ٨٣٩ - ٩٣٦). نديم، أديب مُغنّ، سمي بجحظة لنتوء في عينيه. كان كثير الأخبار، مليح الشعر، حاضر النادرة، عارفاً بالموسيقى. (الزركلي. ج١، ص١٠٧)

(٤) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦هـ - ٢٨٤ - ٨٢١ - ٨٩٨) شاعر كبير يقال لشعره «سلاسل الذهب». وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبّي، أبو تمام والبحتري. (الزركلي. ج٨، ص١٢١)

(٥) راجع ترجمته في الفصل الأول.

المتوكّل، فرمى إليّ الدرّة التي كانت في يمينه، فقبّلت الأرض، وجعلت أفكّر فيما يضحكه طمعاً في الحصول على الأخرى، فَعَنَّ لي قول هذه الأبيات:

بِسُـرَّ مَـرّا لَنَـا إمـامٌ   تَغْـرِفُ مِـنْ كَـفِّـهِ البِحَـارُ
خليفـة يُـرْتَجَـى وَيُخْشَـى   كـأَنَّـهُ جَنَّـةٌ وَنَـارُ
المُلْـكُ فيـه وفـي بَنِيـهِ   مـا آخْتَلَـفَ الليـل والنَّهَـارُ
يَـدَاهُ فـي الجُـودِ ضـرَّتـان   هـذي علـى هـذِه تَغَـارُ
وَلَيْسَ تَـأْتـي اليميـنُ شيئـاً   إلاّ أتَـتْ مِثْلَـهُ اليَسَـارُ

فرمى المتوكّلُ بالدرّة التي كانت في يساره إليّ، وقال: «خذها يا عيّار».

بديهة عجيبة

أنشد أبو تمّام[1] ابن المعتصم[2] بحضرة أبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي[3]:

إقْدامُ عَمْروٍ في سَمَاحَةِ حَاتِـمٍ   في حِلْمِ أحْنَفَ فـي ذكـاءِ إيـاسِ

فقال الكندي: ما صَنَعْتَ شيئاً. شبّهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد

(١) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (١٨٨ هـ - ٢٣١ هـ - ٨٠٤ - ٨٤٦) شاعر، أديب، أحد أمراء البيان. كان فصيحاً، حلو الكلام، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد. (الزركلي. ج٢، ص١٦٥).

(٢) محمّد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (١٧٩٠ هـ - ٢٢٧ هـ = ٧٩٥ - ٨٤١) من أعاظم الخلفاء العباسيين. كان قويّ الساعد، يكسر زند الرجل بين إصبعيه. وهو فاتح «عمورية» من بلاد الروم، وباني مدينة سامرّاء، وهو أوّل من أضاف إلى اسمه لفظة الله. (الزركلي. ج٧، ص١٢٨).

(٣) يعقوب بن إسحق بن الصباح الكندي (... نحو ٢٦٠ هـ = ... نحو ٨٧٣). فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد ابناء ملوك كندة. اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والفلك. ألّف وترجم كتباً كثيرة. (الزركلي. ج٨، ص١٩٥)

المسلمين بصعاليك العرب! وَمَنْ هؤلاء الذين ذكرت؟ وما قدرهم؟ فأطرق أبو تمام يسيراً، وقال:

لا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ ... مَثَلاً شَرُوداً في النَّدَى والبَاس
فاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ والنِّبْرَاسِ[1]

ابن رشيق: العمدة ١/١٩٢

إنّهم بقر

قال أحدهم للشاعر الظريف كلثوم بن عمرو العتابي[2]، عندما كان يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام:

ـ وَيْحَكَ يا عتابي، ألا تستحي؟

فقال العتابي: لو كنت في حظيرة، أكنت تستحي أن تأكل وما فيها من بقر يراك؟

ـ بالطبع، لا.

ـ إذاً، انتظر حتّى أُريك أنّهم بقر.

فَوَقَفَ العتابي يخطب في الناس، ويعظ، ويدعو حتى كثر عليه الزحام، ثم قال لهم:

روى لنا غير واحد أنّه من بلغ لسانه أرنبة أنفه دخل الجنة!

فأخذ كل واحد من الحضور يخرج لسانه، ويقيسه ليراه إذا بلغ أرنبة أنفه أم لا.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نوره كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ...﴾ (النور: ٣٥).

(٢) كلثوم بن عمر بن أيّوب التغلبي العتابي (... ـ ٢٢٠ هـ ـ ... ـ ٨٣٥) كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد، يسلك طريق النابغة. يتصل نسبه بالشاعر عمرو بن كلثوم الجاهلي. (الزركلي. ج٥، ص٢٣١)

ولمّا تفرق الجمع، قال العتابي للرجل:

ألم أقُلْ لك إنّهم بقر؟!

سُكَينة وعُرْوَة بن أذينة

وقفت سُكَينة وعُرْوَة بن أذينة[1]، فقالت له: أنت القائل:

إذا وَجَدْتُ أُوارَ الحبّ في كبدي ... أقْبَلْتُ نحو سِقاءِ المَاءِ أبْتَرِدُ[2]

هَبْني بَرَدْتُ بِبَرْدِ المَاءِ ظَاهِرُهُ ... فَمَنْ لنارٍ على الأحْشاءِ تَتَقِدُ

فقال لها: نعم. فقالت: وأنت القائل:

قالَتْ وَأَبْثَثْتُها سِرّي فَبُحْتُ به ... قد كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَتِرِ

ألَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلي؟ فَقُلْتُ لها ... غَطّي هَوَاكِ وما أُلقي على بَصَرِي

فقال نعم. فَالتَفَتَتْ إلى جَوَارٍ كُنَّ حَوْلَها وقالت: هُنَّ حرائر إن كان خَرَجَ هذا من قلب سليم قط!

ابن خلكان: وفيات. ٢/٢٩٤

دهاء النواسي

كان للرشيد جارية سوداء، يحبُّها كثيراً، اسمها خالصة. ومرّة، دخل أبو نواس على الرشيد، ومدحه بأبيات بليغة، وكانت الجارية جالسة عنده، وعليها من الجواهر والدرر ما يُذهل الأبصار، فلم يَلْتَفِت الرشيد إليه. فغضب أبو نواس، وكتب، لدى خروجه، على باب الرشيد:

(١) عُروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي (... ـ نحو ١٣٠ هـ = ... نحو ٧٤٧ م) شاعر غزل، فقيه محدّث، لقبه أذينة. (الزركلي. ج ٤، ص ٢٢٧).

(٢) أوار: شدّة الحب.

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي على بـابِكُمْ   كَمَا ضَاع دُرٌّ على خـالِصَـهْ

ولمّا وصل الخبر إلى الرشيد، حنق وأرسل في طلبه. وعند دخوله من الباب مَحَا تجويف العين من لفظتي «ضاع» فأصبحت «ضَاء». ثمّ مَثُل أمام الرشيد. فقال له: ماذا كتبت على الباب؟ فقال:

لقد ضاءَ شِعْري على بَابِكُم   كَمَا ضاء دُرٌّ على خـالِصَـهْ

فأعجب الرشيد بذلك، وأجازه. فقال أحد الحاضرين: هذا شعر قُلِعَتْ عيناه فأبصر.

أطلقوه ولو وجب عليه القتل

رُفِعَ إلى الأمير أن أبا نواس زنديق[١]، وأنشد من شعره ما يستَدِلّ به على ذلك. فأمر بإحضاره. ولمّا حضر، أَمَرَ بقتله، فقال: ما ذَنْبي، يا أمير المؤمنين؟ قال: عَرَفْتُ أنك زنديق! قال: وما قلتُ، وما ظهر عليّ من ذلك؟ قال: قولك:

ألاَ فاَسْقِنِي خمراً وقُلْ لي هي الخَمْرُ   وَلاَ تَسْقِنِي سِرّاً إذا أمْكَنَ الجَهْرُ

قال: يا أمير المؤمنين، أفَسَقَاني؟ قال: كذلك أظُنُّ! قال: أفَتَقْتُلُني على ظنّ، وقد قال تعالى: ﴿إنّ بَعْضَ الظنّ إثْمٌ[٢]﴾ قال: فأنت الذي تقول:

يا أحْمَدُ المُرْتَجَى في كُلِّ نَـائِبَـةٍ   قُمْ سَيِّدي نَعْصِ جَبَّار السَّمَـاوات

قال: أفَقَامَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أدري! قال: أفَتَقْتُلُني على أن لا أدري؟ قال: فأنت الذي تقول:

مـا جَـاءَنَـا أحَـدٌ يُخبّـر أنَّـهُ   في جَنَّـةٍ مَـنْ مـاتَ أو فـي النَّـارِ

---

(١) الزنديق: من يُضمر الكفر ويُظهر الإيمان.

(٢) الحجرات: ١٢.

قال: أفَجَاءَ أحد، يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: أفَتَقْتُلُني على الصِّدْقِ؟ قال أطلقوه، ولو وجب عليه القتل!

حدائق الأزاهر. ص ٧١

سكر بلا ثمن

خَرَجَ الحسن بن هانيء، ومعه مطيط حاجبه حتى أتيا دار خمّار. فقال أبو نواس لمطيط: ادْخُلْ بنا نَتَمَاجن[1] على هذا الخمّار! فدخلا، فلمّا سلّما ردّ عليهما السلام، فقال له الحسن: أعندك خمر عتيقة؟! قال عندي منها أجناس، فأي جنس تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

حُجِبَتْ حِقْبَةً وصِينَتْ فَجَاءَتْ كَجلاءِ العَرُوسِ بَعْدَ الصِّيَانِ
وكأنَّ الأكفَّ تُصْبَغُ من ضَوْ ءِ سَنَاها بالوَرْسِ والزَّعْفَرَانِ

فملأ الخمّار قدحاً من خمر صفراء كأنّها ذهب محلول، فشربه الحسن، وقال: أحسن من هذا! فقال الخمّار: أي نوع تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

رَقَّقَتْها أيدي الهَوَاجِرِ حَتَّى صَيَّرَتْ جِسْمَها كَجِسْمِ الهَوَاءِ
فَهْيَ كالنُّورِ في الإنَاءِ وكالنا رِ إذا ما تَصِيرُ في الأحشاءِ

فملأ الخمّار قدحاً من قهوة كأنّها العقيق، فشربه، وقال: أرفع من هذه أريد! قال: أيّ جنس؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

فإذا حَسَا منها الوَضِيعُ ثَلاثَةً سَمَحَ الوَضِيعُ بِفِعْلِ ذي القَدْرِ
في لَوْنِ ماءِ الغَيْثِ إلاّ أنّها بَيْنَ الضُّلُوعِ كَوَاقِدِ الجَمْرِ

فملأ له القدح من خمرة بيضاء كأنّها ماء المُزْن[2]، فشربه الحسن، وقال

(١) نتماجن: نمزح.
(٢) المزن: السحاب.

للخمّار: أتعرِفُني؟ قال: أي والله يا سيّدي، أنا أعرف الناس بك. قال: فمن أنا؟ قال: أنت الذي سكر من غير ثمن! فضحك وقال لمطيط: ادفع له ما معك من النفقة. فأعطاه مئةَ درهم وانصرف.

حدائق الازاهر. ص٣٩٤ - ٣٩٥.

عمران بن حطان السدوسي وزوجه

كان لِعِمْران بن حطّان[١] [السدوسي، شاعر الخوارج]، زوج جميلة، وكان هو قصيراً دميماً، فقالت له ذات يوم:

- أبشر، فإنّي وإياك في الجنة!

قال: كيف ذلك؟

قالت: لأنّك أُعطيتَ مثلي فَشَكَرْتَ، وأنا بُليتُ بمثلك فَصَبَرْتُ. والصابر والشاكر في الجنَّة!

العين الضاحكة الباكية

قال المهدي[٢]، لمّا وصله نبأ وفاة والده في مكّة المكرّمة: «إنّ رسول الله (ص) قد بكى عند فِراق الأحبَّة؛ لقد فارقتُ عظيماً، وقُلِّدْتُ جسيماً». وبينا هو جالس للتعزية بوالده، والتهنئة بالخلافة، أنشده أبو دلامة:

عينـاي واحِـدَةٌ تُـرَى مَسْـرُورَة   بإمامِها جَـذْلَـى وأخـرى تَطْـرِفُ

(١) عِمْران بن حِطّان بن ظبيان السدوسي الشيباني (... - ٨٤ هـ - ... - ٧٠٣) رأس القعدة من الصفرية، وإنّما عُدّ كذلك لأنّه طال عمره، وضعف عن الحرب، فاقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه. كان خطيبهم وشاعرهم. (الزركلي. ج٥، ص٧٠)

(٢) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

تَبْكِي وَتَضْحَكُ مَرَّةً وَيَسُوؤُها   ما أنكَرَتْ وَيَسرُّها ما تَعْرِفُ
فَيَسُوؤها مَوْتُ الخَلِيفَةِ مُحْرِماً   وَيَسُرُّها إذ قَامَ هذا الأرْأَفُ

فأجزل له العطاء.

أعمى يقود بصيراً

أتى رجل إلى بشار بن بُرْد[1] يسأله عن منزل أحدهم كان قد ذكر له اسمه. وعبثاً حاول ابن برد أن يرشده إليه، ولمّا يئس منه أمسكه بيده، وتوجّها إلى المنزل، وهو يردّد:

أعْمَى يَقُودُ بَصِيراً لا أبا لَكُمُ   قَدْ ضَلَّ مَنْ كانَتِ العُمْيانُ تَهْدِيه

ولما وصلا قال له بشار:

« هذا هو منزله يا أعمى! »

بشار ثاقب اللؤلؤ

مدح بشّار بن برد الخليفة المهدي[2] بحضرة خاله يزيد بن منصور الحميري، ولمّا انتهى من إلقائها سأله خال الخليفة: ما صناعتك أيّها الشيخ؟ فأجاب بشّار: أثقب اللؤلؤ. فغضب المهدي وقال: وَيْحَكَ! أتَهْزَأ من خالي؟ فقال بشار: يا أمير المؤمنين، ماذا يكون ردّي على آمرئ يراني شيخاً،

---

(١) بشار بن برد العقيلي بالولاء (٩٥ هـ - ١٦٧ هـ - ٧١٤ - ٧٨٤) أشعر المولدين على الإطلاق. كان ضريراً، أدرك الدولتين: الأمويّة والعباسيّة. قال عنه الجاحظ: كان شاعراً راجزاً، سجّاعاً خطيباً، صاحب منثور ومزدوج وله رسائل معروفة. اتّهم بالزندقة ومات ضرباً بالسياط (الزركلي. ج٢، ص٥٢)

(٢) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

أعمى، أنشد الشعر، ويسألني: ما صناعتي؟!

فأعجب الخليفة من جواب بشّار، وأجزل صلته بدل معاقبته.

النواسي وأبو عبيدة

ولع النواسي[1] بأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنّى التيمي[2]، فكتب على إسطوانة في المسجد تعلو مقدار قامة وأكثر:

صلّى الإلٰهُ على لُوطٍ وَشِيعَتِهِ   أبا عُبَيْدَةَ قُلْ بِاللهِ آمينا
فأنْتَ عِنْدي بلا شَكٍّ بَقِيَّتُهُمْ   مُنْذُ ٱحْتَلَمْتَ وَجَاوَزْتَ الثمانينا

فقال لكيسان: أما رأيت صنيع هذا الفاجر؟ قم بنا نحكّه[3] لئلاّ يراه الناس. فبرك أبو عبيدة، واعتلى كيسان ظهره ليحكّه. فلما ثقل عليه قال له: أوجز وأسرع. فقال كيسان: قد بقي لوط. فقال: عجّل فهو المعنيّ، وعليه تدور فضيحتي.

إشراك الحواس الخمس

سمع أبو نواس أحد المؤدّبين يشرح بيته الشعري:

ألا فَٱسْقِنِي خمراً وَقُلْ لي هي الخمْرُ   ولا تَسْقِنِي سِرّاً إذا أمكنَ الجَهْرُ

فوقف، وإذا بطالب يسأل المؤدّب: لماذا قال ابن هانىء: وقُلْ لي هي

(١) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

(٢) معمّر بن المثنّي التيمي بالولاء، البصري (١١٠ هـ - ٢٠٩ هـ = ٧٢٨ - ٨٢٤) من أئمة العلم بالأدب واللغة. قال عنه الجاحظ: «لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه». كان يبغض العرب وصنّف في مثالبهم. (الزركلي. ج٧، ص٢٧٢)

(٣) نحكّه: نمحوه.

الخمر؟ فأجاب المؤدّب: إنما أراد أن تكون المتعة من الخمر تامّة في جميع الحواس. فشارب الخمر يراها، يلمسها، يشمّها، يذوقها، ولم يبق إلاّ السمع، لذلك أحبّ أن يشرك السمع لتتمّ المتعة لجميع الحواس.

فدخل أبو نواس وقال للمؤدّب: أحسنت، ولكن، والله، لم أكن أقصد ذلك.

قبلة من بعيد!

كان الخطّاطون، قديماً، إذا سها أحدهم، أو أخطأ في وضْع حرف من الحروف بغير صورته الصحيحة، سارع إلى محو الخطأ قبل أن يجفّ الحبر، وذلك عن طريق اللّطع، أي لَحْس الحبر باللّسان، وذلك لأنّهم لم يكونوا يعرفون المطّاط الذي نستخدمه اليوم للمَحْو. وقد قال أحد الخطّاطين في هذا الشأن: «لا يُصبح المرء خطّاطاً ما لم يشرب محبرة». ومن الطريف في هذا الباب أنّ الشاعر العباسيّ الفَكِه أبا نُواس كان يُراسل جاريةً، وكان آثار اللّطع ظاهراً في بعض سطور رسالتها، فقال:

أكْثِرِي المَحْوَ في الكِتابِ وَمَحِّيْهِ ... بـريـق اللّسـان لا بـالبَنـانِ
وأمـرّي الخـزامَ بَيْـنَ ثَنـايـاكِ ... العِـذابِ المفَلّجَـاتِ الحِسـان
إنّنـي كُلّمـا مَـرَرْتُ بِسَطْـرِ ... فِيـهِ مَحْـوٌ لَطَعْتُـهُ بِلِسـانـي
فـأرى ذاكَ قُبْلَـةً مِـنْ بَعِيـدِ ... أسْعَدَتني ومـا بـرحْـتُ مكـانـي!

كَتَبَتْ وكَتَبْتُ

ومن طريف شعر أبي نُواس قوله:

كَتَبَتْ على فَصٍّ لخاتِمِها: «مَنْ مَلَّ مَحْبوباً فلا رَقَدا»
فكَتَبْتُ في فَصٍّ لِيُبْلِغَها: «مَنْ نامَ لَمْ يَعْقِلْ كَمَنْ سَهِدا»
فَمَحَتْهُ واكْتَتَبَتْ لِيُبْلِغَني: «لا نامَ مَنْ يَهْوَى ولا هَجَدا»
فَمَحَوْتُهُ ثُمَّ اكْتَتَبْتُ: «أنا واللهِ أوّلُ مَيِّتٍ كَمَدا»
فَمَحَتْه واكْتَتَبَتْ تُعارِضُني: «واللهِ لا كَلَّمْتُهُ أبَدا»

تمام المشوار

كان أبو نواس مع جماعة من أصحابه يتنزّهون في إحدى الرياض. وبينا هم يشربون ويأكلون مرّ بهم طفيليّ، فسلّم، فسأله أبو نواس عن اسمه، فأجابه: أبو الخير. ثمّ مرّت جارية فسلّمت، فردّ أبو نواس وسألها عن اسمها، فقالت: زانة. فقال أبو نواس لأصحابه:

«اسْرُقُوا الياء من «أبو الخير»، وأعطوها «زانة»، فيتمّ المِشوار، فتصبح هي «زانية»، وهو «أبو الخرء» كما هو».

الجاحظ والنواسي

قال أبو عثمان (الجاحظ) لأبي نواس، وكان مصفرّ الوجه، بسبب مرض ألمّ به:

- ما لي أراك مصفراً، يا أبا علي؟

فقال أبو نواس: رأيتُك فَتذَكَّرْتُ ذنوبي!

ـ ما علاقة ذنوبك برؤيتي؟

ـ خِفْتُ أن يُعَاقِبَني الله على ذنوبي، فيمسخني قرداً مثلك.

اللبن الأحمر

رأى هارون الرشيد أبا نواس ومعه زجاجة خمر، فقال له:

ـ ما هذا يا أبا نواس؟

فقال أبو نُواس: لبن يا سيدي!

ـ اللبن أبيض، وهذا أحمر!؟

ـ نعم يا سيّدي، لقد احمرّت خجلاً منك.

فضحك الرشيد، وتركه.

الألف ألفان

كان عبد الملك بن مروان[1] يقول لإبْن عَبْدَل[2]، الشاعر الظريف الأعرج، عندما كان يسألهُ:

ـ أخَمْسُمَائة أحبُّ إليك هذا العام أم ألف في العام المقبل؟

فيجيبه ألف في العام المقبل.

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

(٢) هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جبلة بن عمرو الأسدي (... نحو ١٠٠ هـ = ... نحو ٧١٨) شاعر من بني أميّة، هجاء، كان أعرج أحدب. قال عنه صاحب الأغاني: كان الحكم أعرج، لا تفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك، وكان يكتب على عصاه حاجته، ويبعث بها مع رسله، فلا يؤخّر له رسول، ولا تحبس عنه حاجة. ثم جعل يكاتب الأمراء بما يحتاج إليه في الرقاع. (الزركلي. ج٢، ص٢٦٧)

وفي العام التالي، يكرّر عبد الملك السؤال نفسه جاعلاً الألف ألفين، في العام المقبل. فيقول ابن عبدل:

ـ ألفان في العام المقبل.

وهكذا تمرّ الأعوام دون أن يحصل على شيء.

وذات يوم، جاءت امرأة موسرة، تستعين بلسان ابن عبدل في تحصيل ديونها، بعد أن وعدته بالزواج به إذا استوفتها جميعها. وراح ابن عبدل يستوفي الديون حتى أتى عليها، ولمّا جاء يطالبها الوفاء بالوعد، قالت:

سَيُخْطِئُكَ الذي حَاوَلْتَ مِنِّي فَقَطِّعْ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حِبَالي
كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابنِ بِشْرٍ وَكُنْتَ تَعُدُّ ذٰلِكَ رَأْسَ مَالِ

فدخل ابن عبدل على الملك بن بشر، وشكا له أمره، فضحك عبد الملك، وأمر له بألفي درهم.

الجمّاز وضيوفهُ الستّة

كان الجمّاز[1] لا يستضيف في بيته إلاّ ثلاثة أشخاص، لضيق المحلّة، وذات اليد؛ ومرّةً دعا ثلاثة من أصدقائه، فجاء ستَّة، فوقف كلّ واحِد على رِجْل، وقرعوا الباب. فنظر الجمّاز، كعادته، من ثقب في أسفل الباب فرأى ستّة أرجل. ولمّا فتح الباب دخلوا جميعاً فقال لهم:

ـ اخرجوا عنّي، فإنّي قد دعوت أناساً، ولم أدْعُ كراكيّ.[2]

(١) الجماز ابن أخت أبي العتاهية الشاعر الزاهد.
(٢) الكراكي: ج كركي وهو طائر يقف على رجل واحدة.

ذكاء غلام

اِلْتَقى غلام أبا العلاء المعرّي[1] فسأله:

- مَنْ أنت، أيّها الشيخ؟

فقال له أبو العلاء: أنا أبو المعرّي.

فقال الغلام: أَلَسْتَ أنت القائل:

وإنّي وإنْ كُنتُ الأخيرَ زَمانُهُ لآتٍ بما لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائِلُ؟

قال أبو العلاء: بلى! فقال الغلام:

- إنَّ الأوائل قد رتَّبُوا الحروف الهجائيّة ثمانية وعشرين حرفاً، فهل بإمكانك أن تزيد عليها حرفاً؟ فقال أبو العلاء:

- خذه يا فتى: «لا» (جمع اللام والألف)، ولكن أخشى عليك ألاّ تعيش طويلاً لشدّة حذقك، وتوقّد ذهنك وذكائك.

المتنبّي بين الأمير والمعرّي

ذُكِرَ المتنبّي في مجلس أمير[2] بحضور المعرّي وجماعة. فأخذ الأمير يطعن بالمتنبّي، ويضعّف شعره، ويذكر مقابحه، وكان المعرّي حاملاً على الأمير لقلّة إحسانه إليه. فحمله ذلك على أن خالفه، وأثنى على المتنبّي، وقال: هو أشعر الشعراء، وأحسنهم شعراً، ولو لم يكن إلاّ قصيدته التي أوّلها:

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنّوخي المعرّي (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ = ٩٧٣ - ١٠٥٧). شاعر وفيلسوف. أصيب الجدري صغيراً، فعمي في السنة الرابعة من عمره. لم يأكل اللحم مدّة خمس وأربعين سنة. وكان يلبس خشن الثياب. (الزركلي. ج١، ص١٥٧)

(٢) الأمير هنا هو الشريف المرتضى.

«لَكِ يَا مَنَازِلُ في القُلُوبِ مَنَازِلُ.»

فأمر به الأمير أن يضرب بالسياط، فضرب، وأُخرج، فعظم ذلك على من حضر المجلس، وقالوا للأمير: رجل كبير من أهل العلم تضربه لما يقول عن المتنبّي إنّه أشعر الشعراء، ما ذلك بصواب! فقال: «ليس كما قلتم، وإنّما ضربته على تعريضه بي.» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنّه لم يفضّله بقصيدة من عالي شعره، وإنّما فضله بتلك القصيدة - مع أنّها ليست من عالي شعره - لأنّه يقول فيها:

وإذا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

فاسْتَحْسَنَ من حَضَرَ فهمه، وحدّة ذهنه، وعذره فيما فعل. وسئل المعرّي بعد ذلك فقال: واللهِ ما قصدت غير ذلك.

حدائق الازاهر. ص٢١٥

كلّ يعود إلى أصله

زلّت رجل غلام كان يحمل كتاب الفصوص لأبي العلاء صاعد[١]، في نهر قرطبة، عندما كان يعبره، فضاع. ولمّا وصل الخبر إلى ابن العَرِيف[٢] قال بحضور صاعد:

قَدْ غاصَ في البَحْرِ كِتَابُ الفُصُوصِ وَهٰكَذا كُلّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي (... - ٤١٧ هـ = ... - ١٠٢٦م) عالم بالأدب واللغة، قصّاص، من الكتاب الشعراء، وله معرفة بالموسيقى والغناء. (الزركلي. ج٣، ص١٨٦ - ١٨٧).

(٢) هو الحسين بن الوليد بن نصر (... - ٣٩٠ = ... - ١٠٠٠) أديب أندلسي أختاره المنصور بن أبي عامر مؤدباً لأولاده، وله معه مجالس أخبار. (الزركلي. ج٢، ص٢٦١)

فارتجل أبو العلاء مجيباً:

عَـادَ إلـى مَعْـدِنِـهِ إنّمـا تُوجَدُ في قَعْرِ البِحَارِ الفُصُوصُ[1]

الخيبة

زار الشاعر رشيد سليم الخوري[2] صديقاً له يُدْعى: وديع عبد المسيح، وكان هذا الأخير مُنْشغلاً بأمور تجاريّة، لذلك لم يُعِرْه أي اهتمام، فاغْتَمّ الشاعر، وخرج تاركاً له هذين البَيْتَيْن:

أيَا عَبْدَ المَسِيحِ جَمِيلُ ظَنّي بِـوِدّكَ بَـاتَ أقْبَـحَ مِـنْ قَبِيـحِ
وَضيعاً صِرْتَ عِنْـدي لا «وديعـاً» وَعَبْدَ القِرْدِ لا «عَبْدَ المَسِيـحِ».

قصيدة المتنبّي

كانَ إمام العبد رجلاً أسود اللون، وكان له صديق كثير المزاح يدعى محمود، فقال له صديقه:

ـ ما رأيك، يا إمام، في قصيدة المتنبّي، في هجائه لكافور، وخاصّة البيت القائل:

لا تَشْتَرِ العَبْـدَ إلاّ والعَصَا مَعَـهُ إنَّ العَبِيـدَ لأنْجَـاسٌ مَنَـاكِيـدُ

ففطن إمام ما يقصده محمود، فأجاب:

---

(١) الفصوص: جمع فص، وهو ما يركّب في الخاتم من أحجار كريمة.

(٢) رشيد سليم الخوري (١٨٨٧ ـ ١٩٨٤) شاعر لبناني، هاجر إلى البرازيل للعمل؛ فجادت قريحته بالشعر الوجداني؛ لقّب بالشاعر القروي.

ـ بلا شكّ، هي قصيدة رائعة، وأروع ما فيها قوله:

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلى زَمَنٍ يُسِيءُ لي فيه « كلْبٌ » وَهْوَ مَحْمُودُ

من صفات الله

لاحظ خليل مطران[1]، شاعر القطرين، أنّ حافظ إبراهيم[2] لم يكن يرتدي إلاّ بذلة واحدة، قديمة العهد، عندما كان منشغلاً بترجمة كتاب البؤساء لڤيكتور هيجو[3]، فسأله:

ـ لماذا لا أراك إلاّ في هذه البذلة؟

فأجابَ حافظ:

ـ لأنّ فيها صفتين من صفات الله: القِدَم، والوحدانيَّة.

الهديّة على مقدار مهديها

قال الشاعر نعمة قازان، صاحب مصنع أحذية شهير، لصديقه الأديب توفيق ضعون عندما هداه حذاءً:

لَقَدْ أَهْدَيْتُ تَوفيقاً حِذَاءً فَقَالَ الحَاسِدُونَ وَمَا عَلَيْهِ؟

(١) خليل مطران (١٨٧٢ ـ ١٩٤٩) شاعر لبنانيّ. لقّب بشاعر القطرين (مصر ولبنان) كانت قصائده الأولى ضد الاستعمار فنقم عليه الأتراك، فهاجر إلى مصر حيث تعاطى التجارة فلم يفلح، كما اشتغل بتحرير جريدة «الأهرام» و«المؤيد».

(٢) حافظ إبراهيم (١٨٧١ ـ ١٩٣٢). شاعر مصري، تعاطى المحاماة ثم دخل المدرسة الحربية، وتخرّج ضابطاً. عيّن رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصريّة بعد أن أحيل إلى التقاعد.

(٣) ڤيكتور هيجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥). شاعر وأديب فرنسي، يعدُّ من الأعلام الرومنطيقيين. امتاز بقوة المخيّلة وغنى الوصف، ودقّة التعبير.

أَمَا قَالَ الفَتَى العَرَبِيَّ يَوْماً شَبِيهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إليهِ؟

فردّ توفيق على هذه المجاملة بقوله:

لَوْ كانَ يُهْدَى إلى الإنْسان قِيمَتُهُ لَكُنْتُ أَسْتَأهِلُ الدُّنْيَا وَمَا فيها
لكن تَقَبَّلْتُ هذا النَّعْلَ معتقداً أنَّ الهَدَايَا على مِقْدَارِ مُهْدِيها

ابن الكلب

تبنّى أهالي مدينة بعلبكّ، في حفلة تكريميّة، الشاعر حافظ إبراهيم، عندما أتى لزيارة صديقه الشاعر خليل مطران. فقال له خليل مطران:

ـ الحمد لله، يا حافظ، أصبحنا اليوم من بلدة واحدة!

فضحك حافظ إبراهيم وأجاب:

ـ أنت تعلم أنّي تركت مصر وأنا «ابن النيل»، وها أنا اليوم «ابن مدينة الشمس»، وغداً، إن شاء الله، في بيروت سأكون «ابن الكلب».

بين أمير الشعراء وشاعر النيل

عندما كان أمير الشعراء أحمد شوقي[1] منفيًّا في إسبانيا أرسل إلى صديقه شاعر النيل حافظ إبراهيم الأبيات الثلاثة التالية:

يا ساكني مِصْرَ، إنّا لا نَزالُ على عَهْدِ الوفاءِ، وإن غِبْنا، مُقِيمينا

(١) أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) شاعر مصري مجيد، أرسله الخديوي إسماعيل إلى فرنسا نظراً لتفوقه وذكائه حيث اتّصل بالمدنية الغربية وتأثر بها. بويع ١٩٢٧ بإمارة الشعر في حفل عظيم وقد أعلن ذلك حافظ إبراهيم بقوله:

أمِيرَ القَوَافي قد أتَيْتُ مُبَايِعاً وَهذِي وُفُودُ الشرقِ قد بايَعَتْ مَعِي

هلاّ بَعَثْتُمْ لَنا مِنْ ماءِ نَهْرِكُمُ   شيْئاً نَبُلُّ بِهِ أحْشاءَ صادينا[1]
كُلُّ المناهِلِ، بَعْدَ النِّيلِ، آسِنَةٌ   ما أَبْعَدَ النِّيلَ إلاّ عَنْ أمانينا![2]

فأجابه حافظ إبراهيم على الوزن نفسه والقافية نفسها:

عَجِبْتُ للنِّيلِ يَدْرِي أنَّ بُلْبُلَهُ   صادٍ، وَيَسْقِي رُبا مِصْرٍ وَيَسْقِينا
وَاللهِ ما طابَ لِلأَصْحابِ مَوْرِدُهُ   ولا ٱرْتَضوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِم لِينا
لم تَنْأَ عَنْه، وإنْ فارَقْتَ شاطِئَهُ   وَقَدْ نَأَيْنا، وَإنْ كُنّا مُقِيمِينا[3]

الجحش الخسع

دخل ثقيل عيادة الدكتور شاكر الخوري؛ وفي غرفة الانتظار جلس على تَخْتٍ يرتكز على «جَحْشَين» من خشب، فانكسر أحدهما. ولما دخل غرفة الطبيب، أخذ يعتذر عمّا حصل، صابّاً جام غضبه على «الجحش» بأنّه «خِسْع[4]». فأجاب الطبيب:

ثَقِيلٌ قَدْ عَلا دِيوَانَ تَخْتِي   فَحَطَّمَ «جَحْشَهُ» وَأَتَى ٱعْتِذارا
وَقالَ: الجَحْشُ خِسْعٌ. قُلْتُ: كلاّ   لأنّ الجَحْشَ لا يَلْقَى حِمَارا

كرٌّ وجحش وعير

كان شاكر الخوري قد اشترك في مسابقة شعريّة، تُوضَع أبياتها على مدخل سراي بعبدا. وكان للجنة، حسب قوله، لون سياسيّ خاصّ، فرفضت شعره، فنظم:

---

(١) الصادي: العطشان.
(٢) المناهل: موارد الماء.
(٣) لم تَنْأَ: لم تبتعد.
(٤) خسع: فيه عاهة.

قَدْ كانَ في فَحْصِ شِعْرِي كِرٌّ وَجَحْشٌ وَعِيرُ
لَوْ أنّ شِعْرِي شَعِيرٌ لاَسْتَطْيَبَتْهُ الحَمِيرُ
لكِنّ شِعْرِي شُعُورٌ هل لِلْحَمِيرِ شُعُورُ؟

مجمع المسرات، ص ٥٦٠ - ٥٦١

المحشيّ

استضاف الأميرُ سعيدٌ شاكرَ الخوري، وقدّم له محشياً لا لحم فيه فقال شاكر:

قَدْ قِيلَ إنّ المُسْتَحِيلَ ثلاثةٌ والآنَ رَابِعَةٌ أتَتْ بِمَزِيدِ
الغُولُ والعَنْقَاءُ والخِلُّ الوَفِي واللّحْمُ في مَحْشِيِّ الأميرِ سَعِيدِ

مجمع المسرات، ص٤٣٤

الفنجان العاشق

في اجتماع عائليّ ضمّ الشعراء المعالفة الأربعة: شاهين، وميشال، وشفيق، وفوزي، سقط فنجان القهوة من يد سيّدة المنزل، فخُصصت جائزة، وهي عبارة عن ساعة ذهبيّة لمن يقول أفضل أبياتٍ في الفنجان، فقال شاهين المعلوف:

ثَمِلَ الفِنْجَانُ لَمّا لامَسَتْ شَفَتَاهُ شَفَتَيْهَا فَٱسْتَعَرْ
فَتَلَظّتْ مِن لَظَاهُ يَدُهَا وَهْوَ لَوْ يَدْرِي بِما يَجْنِي ٱعْتَذَرْ
وَضَعَتْهُ عِنْدَ ذا مِنْ كَفِّهَا يَتَلَوّى قَلِقاً أنّى ٱسْتَقَرْ
وَٱرْتَمَى مِنْ وَجْدِهِ مُسْتَعْطِفاً قَدَمَيْهَا وَهْوَ يَبْكِي وَٱنكَسَرْ

وقال ميشال المعلوف:

عَـاشَ يَهْـوَاهـا ولكِـنْ ... فـي هَـوَاهَـا يَتَكَتَّـمْ
كُلَمَـا أذنَتَــهُ مِنْهَـا ... لاَصَـقَ الثَّغْـرَ وَتَمْتَـمْ
دَأبُـــهُ التَقْبِيـــلُ لا ... يَنْفَـكُ حَتَّـى يَتَحَطَّـمْ

وقال شفيق المعلوف:

إنْ هَوَى الفنجانُ لا تَعْجَبْ وَقَـدْ ... طَفَـرَ الحُـزْنُ علـى مَبْسَمِهَـا
كُـلُّ جُـزْءٍ طـارَ مِـنْ فِنْجَـانِهـا ... كـانَ ذِكْـرَى قُبْلَـةٍ مِـنْ فَمِهـا

فنظر فوزي إلى الفنجان، فإذا هو لم ينكسر، فقال معارضاً الجميع:

مـا هَـوَى الفِنْجَـانُ مُخْتَـاراً فَلَـوْ ... خَيَّـرُوهُ لـم يُفَـارِقْ شَفَتَيْهَـا
هِـيَ أَلْقَتْـهُ وذا حَـظُّ الذي ... يَعْتَـدِي يَـوْمـاً بِتَقْبِيـلٍ عَلَيْهَـا
لا ولا حَطَّمَـهُ اليَـأْسُ فهـا ... هُـوَ يَبْكـي شـاكِيـاً مِنْهـا إلَيْهـا
والذي أَبْقَـاهُ حَيّـاً سَـالِمـاً ... أمَـلُ العَـوْدَةِ يَـومـاً لِيَـدَيْهـا

فَحُكِمَ له بالجائزة.

المجدّرة

سَمْعاً بَنِـي وَطَنِـي لأُخْبِـرَ قِصَّتِـي ... فيهـا فَـوَائِـدُ جَمَّـةٌ مع تَـذْكِـرَهْ
قَدْ صابَ داعِيكُـمْ بِجِسْمِـي كُلِّـهِ ... مَرَضٌ فأفْقَدَنـي الهَـوَى والمَقْـدِرَهْ
وَظَنَنْـتُ مِـنْ فَـرْطِ التـألُّـمِ أنّنـي ... لا بُـدَّ لـي مِـنْ أنْ أَزُورَ المَقْبَـرَهْ
وأخَذْتُ أنْدُبُ تَعْسَ حَالِـي قـائِلاً ... وا حَسْرَتي عُمْري غدَا ما أقْصَـرَهْ
وَإلَى السَّمَاءِ رَفَعْتُ صَوْتي صَارِخـاً ... يا رَبُّ إنّي مِنْـكَ أرْجـو المغْفِـرَهْ
وَسَأَلْتُ أصْحـابي وآلـي جَمْعَهُـمْ ... صَفْحاً وَمِنْكُمْ قُلْتُ أرْجو المَعْـذِرَهْ
فَبَـدَا يُعَـزِّيني صَـدِيـقٌ قـائِلاً ... هٰذِي الأمُـورُ مِـنَ الإلٰـهِ مُقَـدَّرَهْ
فَتَعَـزَّ وَاصْبِـرْ ما رَأَيْنـا صَـابِـراً ... يَـوْمـاً أضَـاعَ لـه الإلٰـهُ تَصَبُّـرَهْ

وَمَضَى فَأَحْضَرَ لي طبيباً مَاهِراً ... وَجَميعُهُمْ هَتَفُوا لَهُ ما أَمْهَرَهْ
لكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ المَرَضَ الذي ... بي قَدْ أَلَمَّ وَقَدْ رَأَيْتُ تَحَيُّرَهْ
قَالَ الطَّبِيبُ لَقَدْ أَلَمَّ بِجِسْمِهِ ... دَاءٌ غَرِيبٌ في زماني لَمْ أَرَهْ
ما مِنْ طَبِيبٍ يَسْتَطِيعُ عِلاَجَهُ ... وَلَقَدْ يَعِزُّ على الدَوا أَنْ يَقْهَرَهْ
لكِنْ سَأَنْتَدِبُ الأطِبَّا كُلَّهُمْ ... فَلَعَلَّنَا نَشْفِيهِ بَعْدَ المَشْوَرَهْ
فَأَتَوا وَكُلٌّ حَامِلٌ جِزْدَانَهُ ... مِنْ أَنْفَعِ الوَصْفَاتِ فيهِ مُسَطَّرَهْ
لكِنَّهُمْ جَهِلُوا جَميعاً ما الدَوَا ... والكُلُّ مِنْهُمْ قَدْ أَطَالَ تَفَكُّرَهْ
وَبَدَوا يَهُزُّونَ الرؤوسَ تَأَسُّفاً ... وَيَقُولُ كُلٌّ: حَسْرَتي ما أَخْطَرَهْ
فَعَلِمْتُ قَطْعَ رَجَائِهِمْ مِنْ صِحَّتي ... فَصَرَخْتُ فيهِمْ قَدْ كَفَاكُمْ ثَرْثَرَهْ
يَكْفَاكُمُ أَبَنُو الكِلابِ قَطَعْتُمُ ... قَلْبي وقُلْتُمْ: مِيتَتي مُتَقَرِّرَهْ
فالقِرْدُ يَمْحَقُكُمْ وَيَمْحَقُ طِبَّكُمْ ... فالطِّبُّ في ذا العَصْرِ أَمْسَى مَسْخَرَهْ
قُومُوا اذْهَبُوا عَنّي فَلَسْتُ بِحَاجَةٍ ... للطِّبِّ كلاَّ لا أَشَا أَنْ أَنْظُرَهْ
ما أَقْبَحَ التَّطْبِيبَ في أَيَّامِنا ... فالكُلُّ مِنْكُمْ جاهِلٌ ما أَحْمَرَهْ
فَأَجَابَنِي كُلٌّ بِصَوْتٍ صَارِخٍ ... ماذا الذي يَشْفِيكَ؟ يكفي زَنْطَرَهْ
قُلْتُ: الذي يَشْفي مَخَاطِرَ عِلَّتي ... شَيْءٌ وَحِيدٌ فَهْوَ صَحْنُ مُجَدَّرَهْ
تُوني بها وَحَيَاتِكُم فَتَعُودُني ... رُوحي وَأُصْبِحُ بالحَقِيقَةِ عَنْتَرَهْ
تُوني بها صَحْناً كبيراً عامِراً ... والأَمْرُ أَفْضَلُ إِنْ أَتَتْ بالطَّنْجَرَهْ
تُوني بها بالزيتِ أم باللَّحْمِ لا ... فَرْقٌ بِشَرْطٍ أَنْ تَكُونَ مُدَرْدَرَهْ
وَدَعُوا الدَّوَاءَ مَعَ الطبيبِ بِعِرْضِكُمْ ... إِنَّ الأطِبَّا والدَّوَاءَ لَزَعْبَرَهْ
هَرَبَ الأطِبَّا مِن أَمَامي عَاجِلاً ... كُلٌّ يُزَاحِمُ آخراً وَيُدَهْوِرَهْ
وَدَعَوْتُ أَهْلَ البَيْتِ حالاً قائلاً ... تُوني مُجَدَّرَةً فَيَكْفي بَرْبَرَهْ
فأتَوا بها صَحْناً كَطَوْدٍ شَاهِقٍ ... هَلَّلْتُ مِنْ طرفي المُنَازِعِ أَبْصَرَهْ
وَأَتَوا مَعَ الصَّحْنِ الحَبِيبِ بِبَصْلَةٍ ... لَوْ لامَسَتْ صَخْراً بَدَتْ أَنْ تَكْسِرَهْ
فَسَحَقْتُها وَقَسَمْتُ ثمّ جَمَعْتُ ثُمَّ ... ضَرَبْتُ بَطْناً، هايْ بَبا، ما أكْبَرَهْ
وَعَرِقْتُ حتّى كادَ يَغْرَقُ مَطْرَحي ... والسَّقْفُ والحيطانُ حتى القَنْطَرَهْ

وَنَهَضْتُ كالسَّبُعِ الكَسُورِ وَصِحَّتي ... صَخْرٌ وَقَدْ أصْبَحْتُ أمْشي الغَنْدَرَهْ
وَلَبَطْتُ وَجْهَ الأرْضِ حَتَى خِلْتُنِي ... كَادَتْ تُزَعْزِعُ لَبْطَتي سَطْحَ الكُرَهْ

المخلوطة

نظم الشاعر أسعد رستم[1] قصيدة على « المخلوطة » وإليك بعض أبياتها:

كُلُّ شَيْءٍ فيها مُفِيدٌ لَذِيذٌ ... وَمُغَذٍّ يُجَوْهِرُ الأبْدَانَا
وَهْيَ مَهْضُومَةٌ لَدَى آكِلِيها ... مَضْغُها لَيْسَ يُتْعِبُ الأسْنَانَا
قِيلَ فيها يا ظَلْطَ سَلِّمْ على البَلْعِ ... وَلاَ تُبْقِ في البُطُونِ مكانَا
قَدْ رَبِينَا مُنْذُ الفِطَامِ عَلَيْها ... وَعَلَيْها اَعْتِمَادُنا وَرَجَانَا
فَنَشَأْنَا والحَمْدُ للهِ أصْحَابَ ... جُسُومٍ تُشَابِهُ الحِيطَانَا
كُلُّ شَخْصٍ مِنَّا قَوِيٌّ إذا نا ... طَحَ فَدَّاناً جَنْدَلَ الفَدَّانَا
وَأخَذْنَا عَنْهَا ذكاءً وَلُطْفاً ... وَاكْتَسَبْنَا جَمَالَنَا الفَتَّانَا
يا لِمَخْلُوطَةٍ حَوَتْ كُلَّ ما مِن ... شَأْنِهِ أنْ يُقَوِّيَ الإنْسَانَا
عَدَسٌ حِمِّصٌ بها وَأرُزٌّ ... وَسَمِيدٌ يُرَى بها أحْيَانَا
وَلِذا لَيْسَ يَشْبَعُ المَرْءُ مِنْها ... كُلَّما ذاقَها يقولُ: « كمانَا »
فَعَلَيْها السَّلاَمُ ما طَلَعَ الفَجْرُ ... وَمَا قِيلَ في الصَّلاة أبَانَا
كُلُّ شَيْءٍ بالاختلاط مَليحٌ ... وَيُفِيدُ اَخْتِلاطُهُ ما عَدَانَا

★ ★ ★

عارَضَه سعيد المصول معلّقة عمرو بن كلثوم ، فقال:

« ألاَ هُبّي بِصَحْنِكِ » واطْعِمينا ... فَقَدْ صِرْنا عُرَاةً جَائِعِينَا!
أكِلْنَا جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ مِلْحٍ ... وَلَمْ تَشْبَعْ بُطُونُ الآكِلِينَا
فَيَا لَكِ هِرَّةٌ بَلَعَتْ بَنِيهَا ... وَمَا وُلِدُوا وَتَنْتَظِرُ الجَنِينَا!

(١) أسعد رستم (١٨٧٠ - ١٩٦٩) شاعر لبناني، ولد في الشوير، هاجر إلى الولايات المتحدة حيث أسّس جريدة « المهاجر » و« الديوان الغريب في الغرب » وهو أوّل كتاب طبع باللغة العربية في تلك الأصقاع.

ذَهَبْتِ وَقَدْ حَمَلْتِ بِكُلِّ بَطْنٍ   « كِراراً » مِنْ طَعَامِ الآخَرِينَا
وَنَظَّفْتِ الدِّيَارَ مِنَ الأهَالِي   وَفِيهَا رُحْتِ وَحْدَكِ تَمْرَحِينَا
بِكُلِّ مُكَرَّشٍ جَشِعٍ أَكُولٍ   يَرَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا طَحِينَا
أَحَاطَ بِعَرْشِهِ أَعْوَانُ سُوءٍ   بِآرَاءِ التَّحَرُّرِ آمِرِينَا
وَرَاحُوا يَنْصَحُونَ وينصحونا   وَرَاحُوا يَسْرُقُونَ وَيَنْهَبُونَا !
عِصَابَاتٌ تَمَادَتْ واسْتَبَدَّتْ   وَدَكَّتْ حُصْنَ ذا الشَّعْبِ الحَصِينَا
ولكِنْ بَعْدَ أنْ دَكَّتْهُ دَكَّتْ   كَذَاكَ الدِّكُّ يصطادُ السَّمِينَا !
يَصُومُ النَّاسُ حِيناً بَعْدَ حِينٍ   وَنَحْنُ نَظَلُّ دَوْماً صائِمِينَا
فَإِنْ كَانَ الصِّيَامُ يُنِيلُ أَجْراً   فَنَحْنُ إلى السَّمَاءِ مُهَرْوِلُونَا
ضَرَبْنَا الرَّقْمَ فِي جُوعٍ وَعُرْيٍ   وَصِرْنَا بِالتَّدَرْوُشِ فائِزِينَا
وَظَلَّ السَّارِقُونَ بلا عِقَابٍ   أَحَقٌّ أنْ يَظَلُّوا آمنينا ؟
فَإِنَّ العَدْلَ يَقْضِي أنْ يُجَازُوا   وأنْ يُقْضَى على المُتَآمِرِينَا
وَيَرْجِعُ كُلُّ مَسْرُوقٍ وَتَبْنِي   بِهِ مَا هَدَّمَ المُتَلاعِبُونَا !
إِلَيْكُمْ يا بَنِي وَطَنِي إِلَيْكُمْ   أُوَجِّهُ صَرْخَتِي هَلْ تَسْمَعُونَا ؟
أَفِيقُوا مِنْ سُبَاتِكُمُ أَفِيقُوا   فهذا العَصْرُ عَصْرُ النَّاهِضِينَا !
وَلاَ يُغْرِرْكُمُ أَفْعَالُ سُوءٍ   وَلاَ تَمْشُوا وَرَاءَ الخَائِنِينَا
وَلاَ تَرْضَوْا بِأَنْ تَحْيَوا بِذُلٍّ   بِظِلِّ جَهَالَةِ المُتَزَعِّمِينَا
وَعِيشُوا فِي بِلادِكُمُ كِرَاماً   وَكُونُوا لِلْعَقِيدَةِ مُخْلِصِينَا
هِيَ الأَشْخَاصُ تَذْهَبُ والمَبَادِي   تَدُومُ: فَعَانِقُوهَا خَالِدِينَا !
وأَنْتُمْ مِنْ بَنِي وَطَنٍ كَرِيمٍ   لَهُ دَانَتْ شُعُوبُ الأَقْدَمِينَا
وكَانَ مُعَلِّمُ الدُّنْيَا فَأَضْحَى   بِهِ هذا الوَرَى مَا تَنْظُرُونَا
«إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَهُ رَضِيعٌ   يَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا »

★ ★ ★

أراد حسين شفيق المصري أن يصوّر لنا زواج أخته، والعادات التي يتّبعها

الناس لإقامة مثل هذه المراسيم، معارضاً بذلك قصيدة النابغة الذبياني[١] التي مطلعها:

يـا دارَ مَيَّـةَ بـالعلْيَـاء فـالسَّنَـدِ أقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْها سَـالِـفُ الأمَـدِ

يقول حسين شفيق المصري:

رَاحُوا لِبَيْعِ نُحَاسِ البَيْتِ تَكْمِلَـةً لأجْرَةِ التَّخْتِ غَمّـي لَيْلَـةَ الأحَـدِ
تَزَوَّجَتْ أُخْتُنَا مِنْ بَعْـدِ مـا لَبِثَـتْ عَامَيْنِ ما بيـن سَمْعَـانٍ وَأورْزَدِي
هذا حَرِيـرٌ وذا صُـوفٌ وذاكَ إذا شاءَتْ مِنَ القُطْنِ أثوابـاً بلا عَـدَدِ
وصِيغَةٌ لَـوْ وَزَنّـاهـا لَمَـا نَقَصَـتْ عَـنْ أقّـةٍ ذَهَبـاً مـوزونَـةً بِيَـدِي
أبُوكِ يا بِنْتُ مِسْكِينٌ يَمُوتُ غـداً مِنْ غَيْظِهِ أو يَبِيعُ البَيْتَ بَعْـدَ غَـدِ
هذا الجِهَازُ رَهَنَّا كـي نَجِـيءَ بـه أطْيَـانَنَـا وَصَبَحْنَـا أفْقَـرَ البَلَـدِ
لكنّهـا أمّهـا قـالَـتْ: أتَفْضَحُنَـا لا بُدَّ من دَعْـوَةِ الأعْيَـانِ والعُمُـدِ

معارضة طوقان لشوقي

نظم الشاعر الكبير أحمد شوقي قصيدة، مادحاً فيها المعلم، وداعياً الناس إلى إكرامه وتبجيله، لما يقدّمه من تضحيات في سبيل نشر العلم والثقافة وتربية الأطفال ممّا أغضب الشاعر إبراهيم طوقان الذي مارس التعليم مدّة من الزمن، فنظم قصيدة معارضاً فيها قصيدة شوقي التي مطلعها:

قُـمْ لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِيْلا كـادَ المُعَلِّـمُ أنْ يَكُـونَ رَسُـولا

فقال طوقان:

شَوْقي يَقُـولُ وَمَـا دَرَى بِمُصِيبَتِـي «قُـم لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـه التَّبْجِيلا»

(١) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (... - نحو ١٨ ق هـ = ... نحو ٦٠٤) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. كان حكماً في سوق عكاظ. كان كثير التنقل بين بلاطي الغساسنة والمناذرة مادحاً ومتكسّباً (الزركلي. ج٣، ص٥٤ - ٥٥)

أُقْعُدْ فَدَيْتُكَ هَلْ يَكُونُ مُبَجَّلاً   مَنْ كانَ للنَّشْءِ الصِّغارِ خَلِيلا ؟

وَيَكادُ يَفْلِقُنِي الأَمِيرُ بِقَوْلِهِ:   «كَادَ المُعَلِّمُ أن يَكُونَ رَسُولا»

لو جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوْقي ساعَةً   لقَضَى الحياةَ شَقاوَةً وخُمولا

حَسْبُ المُعَلِّمِ غُمَّةً وكَآبَةً   مَرْأى الدَّفاتِرِ بُكْرَةً وأصيلا

مِئَةٌ على مِئَةٍ إذا هي صُلِّحَتْ   وَجَدَ العَمَى نَحْوَ العُيُونِ سَبِيلا

ولو أنَّ في التصليح نفعاً يُرْتَجَى   وَأَبِيكَ لَمْ أَكُ بالعُيُونِ بَخِيلا

لٰكِنْ أُصلِّح غَلْطَةً نَحْوِيَّةً   مَثَلاً واتَّخِذُ «الكتاب» دليلا

مُسْتَشْهِداً بالغُرِّ من آياتِه   أو «بالحَدِيثِ» مفصّلاً تفصيلا

وأغوصُ في الشِّعْرِ القديمِ فأنتقي   ما ليس مُلْتَبِساً وَلاَ مَبْذُولا

وأكادُ أبْعَثُ سِيبَوَيْهِ من البلى   وَذَوِيهِ من أهلِ القُرُونِ الأولى

فأرَى حِمَاراً بعد ذٰلِكَ كُلِّهِ   رَفَعَ المُضافَ إليهِ والمَفْعُولا

لا تَعْجَبُوا إنْ صِحْتُ يوماً صَيْحَةً   وَوَقَعْتُ ما بين البُنُوكِ قتيلا

يا مَنْ يُرِيدُ الانتحارَ وَجَدْتَهُ   إنَّ المُعَلِّمَ لا يَعِيشُ طويلا

إبراهيم طوقان

الفصل العاشر

من نوادر وطرائف العشّاق

لو كان قلبي معي!

سألَتِ امرأةٌ من بني كندة الفارسَ العربيّ والشاعر عنترةَ بن شدّاد[1] أن يُقيم معها في ديار قومها، واعدةً إيّاه بتزويجه من يريد من بناتها، فقال:

لوْ كانَ قَلْبي مَعِي ما آخْتَرْتُ غَيْرَكُمُ ... ولا رَضِيْتُ سِواكُمْ، في الهَوَى، بَدَلا
لكِنَّه راغِبٌ فِيْمَنْ يُعَذِّبُهُ ... وَلَيْسَ يَقْبَلُ لا لَوْماً ولا عَذَلا

وأمْطرت لؤلؤاً من نرجسٍ

قال الشاعر الأمويّ يزيد بن معاوية[2] واصفاً حبيبته، وهي تبكي، مشبِّهاً دموعها باللُّؤلؤ، وعينيها الحمراوين بالنرجس، وخدَّيها بالورد، وشفتيها بالعنّاب، وأسنانها بحبّات البَرَد:

...وآسْتَرْجَعَتْ سَألَتْ عَنّي، فَقِيلَ لها ... «ما فيهِ مِنْ رَمَقٍ». دَقَّتْ يَداً بِيَدِ
وَأمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ، وسَقَتْ ... وَرْداً، وَعَضَّتْ على العُنّابِ بِالبَرَدِ

(١) عنترة بن شدّاد بن عمرو بن معاوية العبسي (... - نحو ٢٢ ق هـ = ... - نحو ٦٠٠ م) أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. كان مغرماً بابنة عمه عبلة فاتّحد اسمه بها. (الزركلي. ج ٥، ص ٩١).

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٢٥ هـ ٦٤ هـ =٦٤٥ - ٦٨٣) هو ثاني خلفاء بني اميّة. كان ميّالاً إلى اللهو؛ ويُرى له شعر رقيق. ويقال إنه أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني. (الزركلي. ج ٨، ص ١٨٩).

عبد الملك وعزّة وبثينة

وَفَدَت عزّة[١] وبُثَيْنَةُ[٢] على عبد الملك بن مروان[٣]،فلمّا دَخَلَتا عليه انحرف إلى عزّة، وقال لها: أنت عزّة كثيّر[٤]؟ قالت: لست لكثيّر بعزّة، ولكنّي أم بكر الضمريّة. قال: أتروين قول كثيّر فيك؟

لقد زَعَمَتْ أنّي تغَيّرتُ بَعْدَها ... ومَنَ ذا الّذي يا عَزُّ لا يَتغَيّرُ
تَغَيّرَ جِسْمي والخَلِيقَةُ كالّتي ... عَهِدْتِ ولم يُخْبِرْ بِسِرِّكِ مُخْبِرُ

قالت: لست أروي هذا، ولكنّي أروي غيره حيث يقول:

كأنّي أُنادِي صَخْرَةً حين أعْرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ لَوْ يَمْشِي بِهَا العُصْمُ زَلّتِ
صَفُوحاً فما تَلْقَاكَ إلاّ بَخِيلَةً ... فَمَنْ مَلّ منها ذلك الوَصْلَ مَلّتِ

ثمّ عطف على بُثَيْنَةَ، وقال لها: ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلّهنّ؟ قالت: الذي رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة بين رجال العالمين. فضحك حتى بدت سنّ له سوداء كان يخفيها، وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما.

ابن قيم الجوزي: اخبار النساء. ص٤١

---

(١) راجع ترجمتها في الفصل التاسع.

(٢) بثينة بنت حبا بن ثعلبة العذريّة (... - ٨٢هـ = ... - ٧٠١) شاعرة من بني عذرة، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر. في شعرها رقّة ومتانة. ولمّا مات جميل رثته (الزركلي. ج ٢، ص ٤٣).

(٣) راجع ترجمته في الفصل الأول.

(٤) راجع ترجمته في الفصل التاسع.

وفاء

دخل جميل بن معمر[1] على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا جميل، حدثنا ببعض أحاديث بني عذرة[2]، إنَّهم أصحاب أدب وغزَل. قال جميل: نعم يا أمير المؤمنين، أُعلمك أن آل بثينة تركوا الحيّ. ولما خرجت في طلبهم، هِمْتُ في الصحراء. فلاحت لي نار من بعيد، فقصدتها، فإذا بي أمام راعٍ. فسلّمت، فردّ السلام. وفي الحال، ذبح شاة، وأخذ يشوي ويلقي بين يدي. ولما حان وقت النوم أخلى لي محلاً، ونمت. ولمّا أصبح الصباح، طلبت الأذن بالرحيل. فأبى قائلاً: الضيافة ثلاثة أيام؛ فسألته عن اسمه ونسبه، فانتسب. فإذا هو من أشراف بني عذرة. وأخبرني أنّه أحبّ ابنة عمّ له، لكن والدها أبى أن يزوّجها له لقلّة ذات اليد، فزوّجها لرجل من بني كلاب. ولمّا ارتحل بها عن الحيّ رضي أن يكون راعياً لغنمها كي يراها كلّ يوم. ولمّا حلّ المساء، وحان وقت مجيئها، أخذ يقوم ويقعد، ثم ما لبث أن أنشد:

ما بالُ مَيّةَ لا تأتي كعَادَتِها   أعَاجها طَرَبٌ أو صدَّها شُغُلُ[3]
لكنَّ قَلْبيَ عَنْكُمْ ليس يَشْغَلُهُ   حَتّى المَمَاتِ وما لي غَيْرُكُمْ أمَلُ
لو تَعْلَمِينْ الذي بي مِنْ فِرَاقِكُمُ   لَمَا ٱعْتَذَرْتِ ولا طابت لَكِ العِلَلُ
لو أنّ ما بيَ مِنْ سَقْمٍ على جَبَلٍ   لَزَالَ وَٱنْهَدَّ مِنْ أرْكانِهِ الجَبَلُ

ثمّ قال لي: انتظر يا أخا العرب حتّى استطلع خبر ابنة عمّي. فمضى، ثم عاد وعلى يديه محمول، وهو ينحب، وقال: هذه ابنة عمّي، اعترضها أسد في طريق زيارتها لي، فأكلها. ثم وضعها أمامي، وقال: انتظر حتى أعود إليك.

---

(١) جميل بن عبدالله بن معمر العذري (... - ٨٢ هـ = ... - ٧٠١). شاعر من عشاق العرب، أحبّ بثينة، وتناقل الناس أخبارهما فأهدر دمه. شعره يذوب رقّة وجلّه في النسيب والغزل. (الزركلي، ج ٢، ص١٣٨).

(٢) بنو عذرة: فرع من قضاعة، كانوا يسكنون شمالي الحجاز.

(٣) أعاجها: أخرها. صدّها: منعها.

فراح وأبطأ حتى يئست من رجوعه، ولكن ما لبث أن جاء، ومعه رأس الأسد، وقال: بعد لحظات ستراني ميتاً، فالرجاء أن تدرجني وابنة عمّي في كفن واحد، وتدفننا في قبر واحد؛ واكتب على القبر هذين البيتين من الشعر:

كنّا على ظَهْرِها والعَيْشُ في مَهَـلٍ والشَّمْـلُ يجمعنـا والدّارُ والوَطَـنُ
ففرَّق الدَّهْـرُ بـالتصريـف أُلْفَتَنَـا فَصَارَ يَجْمَعُنا في بَطْنِهـا الكَفَـنُ[1]

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها، وأخبره بقصّتها. ثم عمد إلى خناق، ووضعه في رقبته، وخنق نفسه ومات، غير مبال بمناشدتي له بألّا يفعل.

عند الصباح كفّنتهما، ودفنتهما، وكتبت الشعر على قبرهما، ثم أخبرت زوجها بما حصل، فحزن حزناً شديداً.

سكينة ورواة الشعراء

اجتمع رواة جرير[2] وكثيّر[3] وجميل ونُصَيْب[4] والأحوص[5]، فافتخر كلّ منهم بصاحبه، مدّعياً أنّ صاحبه أشعر. فاحتكموا جميعاً إلى سُكَيْنَة بنت الحسين[6] لما يعرفون من عقلها وفهمها للشعر. فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

---

(١) التصريف: التغلّب والتحول. ألفتنا: محبتنا.

(٢) راجع ترجمته في الفصل التاسع.

(٣) راجع ترجمته في الفصل التاسع.

(٤) راجع ترجمته في الفصل الأول.

(٥) هو عبدالله بن محمد بن الله بن عاصم الأنصاري (... ـ ١٠٥ هـ = ... ـ ٧٢٣) شاعر هجّاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر. كان معاصراً لجريروالفرزدق، وقد قدمه حماد الراويه في النسيب. لقّب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه. (الزركلي. ج ٤، ص ١١٦).

(٦) سُكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (... ـ ١١٧ هـ = ... ـ ٧٣٥). شاعرة نبيلة جميلة، كانت سيدة نساء عصرها، تجمع إليها الشعراء، فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها لتسمع كلامهم وتفاضل بينهم. (الزركلي. ج ٣، ص ١٠٦).

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ وليس ذا وَقْتَ الزيارةِ فارْجَعي بِسَلَامِ[1]

وأيّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق؟ قبّح الله صاحبَكَ وشِعْره. أفلا أخذ بيدها، ورحّب بها، وقال: فأدخلي بسلام، فهو رجل عفيف.

ثمّ قالت لصاحب كثيّر: أليس صاحبك الذي يقول:

يَقَرُّ بِعَيْني ما يَقَرُّ بِعَيْنِها وأَحْسَنُ شيءٍ ما به العَيْنُ قَرَّتِ

وليس شيء أقرّ لعينها من النكاح. أفيُحِبُّ أن يُنْكَحَ؟ قبّحه الله وقبّح شِعْره. ثمّ قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلي معي ما طَلَبْتُها ولكِنْ طِلابيها لِمَا فاتَ مِنْ عقلي

فما أرى صاحبك هَوِي، وإنّما طلب عقله. قبّحه الله، وقبّح شِعْرَه. ثمّ قالت لراوية نُصَيب: أَلَيس صاحبك الذي يقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حُيِيْتُ وإنْ أمُتْ فَوَا حَزَني مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعْدي

فما له هِمَّة إلاّ من يَتَعشّقها بعده. قبّحه الله وقبّح شعره. ألا قال:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ وإنْ أمُتْ فلا صَلَحَتْ دَعْدُ لِذي خِلَّةٍ بَعْدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الذي يقول:

مِنْ عَاشِقَيْنِ تَوَاعَدا وَتَرَاسلا ليلاً إذا نَجْمُ الثُّرَيّا حَلّقا
بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ وألَذِّهَا حَتّى إذا وَضَحَ الصَّبَاحُ تَفَرّقا

قبّحه الله، وقبّح شعره. ألا قال: تعانقا!

كحالة: أعلام النساء. ٢/٢٠٥

---

(١) طرقتكَ: جاءتكَ ليلاً.

حنين إلى الماضي

رأى عمر بن أبي ربيعة[1] فتى يكلّم امرأة في الطواف، فعاب ذلك عليه. فقال له: إنّها ابنة عمّي وإنّي خطبتها إلى أبيها، فأبى أن يزوّجني حتى أصدقها أربعمائة دينار، وأنا عاجز عن ذلك. ولكنّي كَلِفٌ بها. فأشفق عليه عمر وكلّم عمّه في أمرها، وزوّجه إيّاها بعد أن ساق عنه المهر. ولمّا أسَنّ[2] عمر حلف ألا يقول بَيْتاً إلاّ أعتق رقبة، وبينا هو في منزله، جعلت جاريته تحدّثه ولا يُجيبها. فقالت: إنّ لك لشأناً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

تَقُولُ وَلِيدَتي لما رَأَتْني ... طَرِبْتُ وَكُنْتُ قد أَقْصَرْتُ حِينَا
أَرَاكَ اليَوْمَ قد أَحْدَثْتَ أمْراً ... وَهَاجَ لَكَ الهَوى داءً دَفِينَا
وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنكَ ذُو عَزَاءٍ ... إذا ما شِئْتَ فارَقْتَ القَرِينَا
لَعَمْرُكَ هَلْ رَأَيْتَ لها سَمِيّاً ... فَشَاقَكَ أم لَقِيتَ لَهَا خَدِينا
فَقُلْتُ: شكا إليّ أخٌ مُحِبٌّ ... كَبَعْضِ زَمَانِنا إذْ تَعْلَمِينَا
فَقَصَّ عليّ ما يلقى بِهِنْدٍ ... فَذَكَّرَ بَعْضَ ما كُنَّا نَسِينَا
وَذُو الشَّوْقِ القَدِيمِ وإن تَعَزَّى ... مَشُوقٌ حِينَ يَلْقى العَاشِقِينَا
فكم مِنْ خِلَّةٍ أعْرَضْتُ عَنْها ... لِغَيْرِ قِلًى وَكُنْتُ بها ضَنِينا
أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْها ... وإنْ جُنَّ الفُؤادُ بها جُنُونا

---

(١) عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي (٢٣ هـ - ٩٣ هـ = ٦٤٤ - ٧١٢). شاعر اموي من طبقة جرير والفرزدق. لم يكن في قريش أشعر منه. ولد يوم مات عمر بن الخطاب فسمي باسمه. أكثر ما كان يتعرّض للنساء في الحج، ويشبّب بهن. (الزركلي. ج ٥ ص ٥٢).

(٢) أسَنّ: كبر في السن.

الهُيام

مرّ رجل على قيس بن الملوّح، فقال له: ما بك يا فتى؟ فقال:

بيَ ٱليأسُ أو داءُ الهُيامِ أصابَني ... فإيّاكَ عنّي لا يَكُنْ بِكَ ما بِيَا

قال: أعاشق أنت؟

ـ نعم!

إذا أنْتَ لم تَعْشَقْ فَتُصْبِحُ هائماً ... ولم تَكُ مَعْشُوقاً فأنْتَ حِمَارُ

وماذا تقول في الحبّ أيضاً؟

ـ قال:

الحُبُّ أوّلُ ما يَكُونُ لَجَاجَةً ... تَأتِي به وتَسُوقُهُ الأقْدَارُ

قيس والظبية

كان مجنون بني عامر[1] في بعض مجالسه. فمرّ به أخوه، وابن عمّه، وقد قَنَصَا ظَبْيَةً، فقال:

يا أخوَيَّ اللّذَيْنِ اليومَ قَدْ قَنَصَا ... شِبْهاً لِلَيْلَى بِحَبْلٍ ثُمَّ غَلّاها
إنّي أرَى اليَوْمَ في أعطَافِ شَاتِكُما ... مُشَابِهاً أشْبَهَتْ لَيْلَى فَحُلّاها

فٱمْتَنَعَا، فَهَمَّ بهما، وكان شجاعاً قبل أن يجنّ، فخافاه، فأرسلَتْ فولّت نفرَ، ثمّ أقبلت تنظر إليه، فقال:

أيا شِبْهَ لَيْلَى لا تُرَاعِي فإنّني ... لَكِ اليَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
نَفِرُ وقَدْ أطْلَقْتُها مِن وثاقِها ... فأنت لِلَيْلَى ما حَيِيتُ عَتِيقُ[2]

---

(١) هو قيس بن الملوّح من مزاحم العمري (... ـ ٦٨ هـ = ... ـ ٦٨٨). شاعر غزل متيّم، لقّب بالمجنون لشدّة هيامه في حب «ليلى بنت سعد» لأنها منعت عنه. فهام على وجهه إلى أن وجد ميتاً فنقل إلى أهله. (الزركلي. ج٥، ص٢٠٨).

(٢) وثاقها: قيدها. عتيق: طليقة.

فَعَيْناكِ عَيْناها، وَجِيدُكِ جِيدُهَا   وَلكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ دَقِيقُ

القالي: ذيل الامالي. ص٦٣

زيارة عشق من طريق المرض

كان ابن البوّاب[١] يهوى جاريةً اسمها عبّادة لنخّاس[٢] يُكنّى أبا عُمَير. وكانت تتصعَّب عليه زيارتها. فأتى، يوماً، يزور أبا عُمَير، وكان مع جماعة من أصحابه. فعاتبه أبو عُمير عن قِلّة زياراته له، فاعتذر عذراً غير مفهوم. ولمّا شربوا، أخذت الخمرة منه، فقال:

لَوْ تَشَكَّى أبو عُمَيْرٍ قَلِيْلاً   لأَتَيناهُ مِنْ طَرِيقِ العِيادَهْ
فَقَضَينا مِنَ العِيادَةِ حَقّاً   وَنَظَرْنا في مُقْلَتَيْ عَبّادَهْ

فقال له أبو عمير: ما لي ولك، يا أخي! انظرْ في مقلتيّ عبّادة، غير ممنوع، متى شئت، ودَعْني أنا في عافِيتي، لا تَتَمَنَّ لي المرض لتعودني.

نصر والرباب

أحبّ مالك بن نصر[٣] ابنة عمّ له تدعى الرّباب. وكانت على قدر من الظرف والجمال لا يوصف فبينا هو معها، فإذا به يبكي، فسألته: ما الذي يبكيك؟ أجاب: إنّي نظرت في عينيك، فرأيت أنّي إذا متّ ستتزوّجين بعدي.

---

(١) علي بن هلال (... - ٤٢٣هـ = ... - ١٠٣٢). خطاط مشهور. هذّب طريقه ابن مقلة، وكساها رونقا وبهجة. نسخ القرآن ٦٤ مرّة. (الزركلي. ج٥، ص٣١).

(٢) النخاس: بائع العبيد.

(٣) مالك بن نصر بن الأزد (؟) جدّ جاهلي وهناك غيره بهذا الاسم. (الزركلي. ج٥، ص٢٦٦).

قالت: وإذا متّ أنا قبلك؟ قال: عهد عليّ أن لا أتزوّج ما حييت. قالت: وأنا كذلك.

ومرّة خرج الفتى مع قتيبة بن مسلم إلى خراسان للقتال، فَطُعِنَ، وسقط عن جواده وهو يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَال تَـرَكْتُـهُ ... إذا ما أَتَاهُ مَصْرعي كَيْفَ يَصْنَـعُ؟
أَيَلْبَسُ أثْـوَابَ السَّـوَادِ تَسَلّيـاً ... عَلَى مَالِكٍ أم فيهِ لِلْبَعْلِ مَطْمَعٌ؟

ولمّا بلغ الرباب نبأ مصرعه، حزنت كثيراً، وأضناها النحيب، فأكرهها أهلها على الزواج علّها تسلوه.

وفي الليلة التي فيها زُفَّتْ إلى زوجها الثاني، رأت في منامها مالكاً باسطاً يديه على عارضتي الباب يقول:

حَيَّيْتَ سَاكِـنَ هٰـذي الدّارِ كلّهُـمُ ... إلّا الرَّبَـابَ فـإنّـي لا أحَيِّيهـا
أمْسَتْ عَرُوساً وأمسى مَسْكِني جَـدَثٌ ... بَيْـنَ القُبُـورِ وإنّـي لا ألاقيهـا
وَاسْتَبْدَلَتْ بَدَلاً غَيْرِي وَقَدْ عَلِمَـتْ ... أنّ القُبُورَ تُوَارِي مَـنْ ثَـوَى فيهـا
قد كُنْـتُ أحْسَبُهـا لِلْعَهْـدِ راغِبَـةً ... حَتَّى تَمُـوتَ ومـا جَفَّـتْ مـآقيهـا

فاستيقظت من نومها مذعورة، وروت لأمّها ما رأت، وعاهدت الله على أن لا تتزوّجَ أبداً.

شهيد الهوى

قال الأصمعي[1]: بينما أنا أسير بالبادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه:

أيـا معشـر العُشّـاقِ بـاللهِ خَبِّـرُوا ... إذا حَلَّ عِشْقٌ بالفَتَى كيف يَصْنَـعُ؟

(١) راجع ترجمته في الفصل الرابع.

فَكَتَبْتُ تحته:

يُداري هَواه ثمَ يَكتُمُ أمْرَهُ   ويَخْشَعُ في كُلّ الأمورِ ويَخْضَعُ

ثمّ عُدْتُ في اليوم التالي، فوجدت مكتوباً تحته:

فَكَيْفَ يُداري والهَوَى قاتِلُ الفَتَى   وفي كُلّ يوم رُوحُه تَتَقطّعُ؟

فَكَتبتُ تحته:

إذا لم يَجِدْ صَبْراً بِكِتْمانِ سِرّهِ   فَلَيْسَ له شَيْءٌ سِوَى المَوْتِ أنْفَعُ

فعدتُ في اليوم الثالث، فوجدتُ شاباً ملقًى تحت ذلك الحجر ميتاً. رحمه الله!

التحفة الشهية. ص ٢٠٠

وفاء العاشقين

قال رجل من تميم[١]: خرجتُ في طلب ناقة لي، حتى وردتُ على ماء من مياه طَيِّىء، فإذا أنا بشاب وجارية في المعسكر، وإذا هو قد سمع نبرة من كلامها، وهو مريض، فرفع صوته، وقال:

ألا ما لِلْمَليحَةِ لا تَعُودُ   أبُخْلٌ بالمَليحَةِ أم صُدُودُ

فَلَوْ كنتِ المَرِيضَةَ كُنْتُ أسْعَى   إلَيْكِ ولم يُنَهْنِهْني الوَعيدُ[٢]

فسمعت صوته، فخرجت تَعْدو، فأمسكها النساء، فأبصرها فأقبل ينشد، فأمسكه الرجال، فأفْلَتَ وأفْلَتَتْ، فاعْتَنَقا وخرّا ميّتَين. فَخَرَجَ شيخ من تلك الأخبية حتى وقف عليهما، فاسترجع لهما، ثم قال: أما والله لئن كنتما لم تجتمعا حيّين لأجمعنّ بينكما ميّتَين، فقلت: من هذا؟ قال: هذا ابن أخي، وهذه ابنتي، فدفنهما في قبر واحد.

البندقية يحيون الأخبار. ١٣٠/٤

---

(١) تميم: قبيلة عربية شمالية.

(٢) ينهنهني الوعيد: يبعدني التهديد.

قتيل الحبّ

قال النعمان بن بشير[1]: عندما كنت أجمع صداقات عُذْرة، وإذا برجل مستلقٍ بفناء بيت، وقربه امرأة يقول:

جَعَلْتُ لِعَرّافِ اليمامَةِ حُكْمَهُ ... وَعَرّافِ نَجْدٍ إنْ هُمَا شَفَيانِي
فقالا: نعم نَشْفِي من الدّاءِ كُلِّهِ ... وَقَامَا مَعَ العُوّادِ يَبْتَدِرانِ
فما تَرَكَا مِنْ رُقْيةٍ يَعْلَمانِها ... ولا سَلْوَةٍ إلاّ وَقَدْ سَقَيانِي
فقالا: شَفَاكَ اللهُ، واللهِ ما لَنَا ... بما حُمِّلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدانِ

فقلت لها: ما قِصّتُه؟ قالت: مريض. ففتح عينيه، وقال:

مَنْ كانَ مِنْ أمّهَاتي باكياً أبداً ... فاليومَ إنّي أراني اليَوْمَ مَقْبُوضا
يُسْمِعُنِيهِ فإنّي غَيْرُ سامِعِهِ ... إذا حُمِلْتُ على الأعْناقِ مَعْرُوضا

ثم خَفَتَ ومات. فَغَمّضْتُهُ، وغسلته، وصليت عليه، ودفنته. وقلت للمرأة: من هذا؟ قالت: هذا قتيل الحبِّ! هذا عروة بن حِزام.

القالي: ذيل الأمالي. ص١٥٧

الدراهم مراهم

دَخَلَ بصريّ مدينة بغداد، فأبصر جارية تنظر إليه، فَهَوِيَها. فكتب إليها مراراً ولم تجبه. ومرّة كتب إليها كتاباً يشكو فيه شوقه، وختمه بهذا البيت:

هَلْ تَعْلَمينَ وراء الحبِّ مَنْزِلَةً ... تُدْني إلَيْكِ فإنَّ الحُبَّ أقْصَاني

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري (٢ هـ - ٦٥ هـ = ٦٢٣ - ٦٨٤). أمير، خطيب، شاعر، من أجلاّء الصحابة. ولي القضاء بدمشق. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة. (الزركلي. ج٨، ص٣٦).

فردّتْ عليه:

نعم حَبيبي وراء الحُبّ مَنْزِلَةٌ بَذْلُ الدَّراهِمِ يُرْضي كُلَّ إنْسَانِ
مَنْ زادَ في الوَزْنِ زِدْنا في مَحَبَّتِهِ مَا يَطْلُبُ الدَّهْرُ إلاّ فَضْلَ رُجْحَانِ

شاب وآمرأة

خرج رجل للتنزّه على جسر دجلة[1]. فأقبلت آمرأة من جانب الرّصافة متوجّهه إلى الجانب الغربي؛ فاستقبلها شابّ قائلاً: رحِمَ الله عليّ بن الجهم[2]. فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعرّي[3]. فتبع الرجل المرأة، وقال لها: إنْ لم تقولي ما قلتما، فَضَحْتُكِ. فقالت: قال الشاب: رحم الله عليّ بن الجهم، أراد بذلك قوله:

عُيُونُ المَهَا بين الرُّصَافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْري وَلاَ تَدْري[4]

وأنا بترحّمي على المعرّي وددت قوله:

فَيَا دَارَها بالحَزْنِ إنَّ مزارَها قَرِيبٌ وَلٰكِنْ دُونَ ذلِكَ أهْوَالُ[5]

ابن الجوزي: أخبار الأذكياء. ص٢٢٣

---

(١) نهر يمر في تركيا ويمرّ في بغداد.

(٢) علي بن الجهم بن بدر (... - ٢٤٩ هـ = ... - ٨٦٣). شاعر رقيق وأديب، عاصر أبا تمام. غضب عليه المتوكل ونفاه الى خراسان. مات في الغزو. (الزركلي. ج٤، ص٢٦٩ - ٢٧٠).

(٣) راجع ترجمته في الفصل التاسع.

(٤) المها: البقرة الوحشية.

(٥) الحزن: اسم موضع.

قتيل محاجر الأحداق

روى أحمد بن مسعود بن شدّاد المقرىء بالموصل قال: «كان لي صاحب يقال له علي الدهّان، يمرّ كلّ ليلة بعد هزيع[1] من الليل، وأنا بهذا المكان، فينادي: يا زكي، فأقول: لبّيك. فيقول: ما أحسن ما قال:

بالله يا رَكْبَ الحِجَازِ تحمّلُوا ... منّي تحيّةَ مُغْرَمٍ مُشْتَاقِ
وَقِفُوا على شَاطِي الفُراتِ وَخَبِّروا ... أنّي قَتِيلُ مَحاجِرِ الأحْداقِ

ومضى ابن مسعود يقول:

فلم يلبث أن ماتَ، فرأيته في المنام فقلت له: يا عليّ، ما أحسن ما كنت تأتيني في حياتك كلّ ليلة فتنشدني. وأنشدْته البيتَيْن، فتبسّم وقال:

يا زكي، لو سمعتني كيف أُنشِدُهما اليوم، فلكلّ مقامٍ مقال!

قلت: وكيف تنشدهما، رحمك الله!

قال هكذا:

بالله يا رَكْبَ الحجاز تَحمّلُوا ... منّي تحيّةَ مُغْرمٍ مُشْتاقِ
وقِفوا على شاطي الفُراتِ وخبّروا ... أنّي رَهينُ جَنادِلٍ وَطِباقِ

قل للمليحة

قدم تاجر من أهل الكوفة إلى المدينة بِخُمُر[2]، فباعها كلّها وبقي السود منها، فشكا ذلك إلى الدارمي[3]، وكان صديقاً له، وقد نَسكَ، وترك الغناء،

(١) هزيع: قسم.
(٢) الخمر: ج خِمار، وهو ثوب تغطي به المرأة رأسها.
(٣) هو سعيد الدارمي التميمي (... نحو ١٥٥ هـ = ... نحو ٧٧٢). شاعر غزل من المغنين الظرفاء، كان ينظم الأبيات ويضع لها لحناً. (الزركلي. ج٣، ص٩٤).

وقول الشعر. فقال له: لا تهتمّ بذلك، فإنّي سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع، ثم قال:

قُلْ لِلْمَليحَةِ في الخمارِ الأَسْوَدِ ماذا صَنَعْتِ بِراهِبٍ مُتَعَبِّدِ
قد كانَ شَمَّرَ للصَّلاةِ ثِيابَهُ حتّى وَقَفْتِ لَه بِبابِ المَسْجِدِ

وَغنَّى فيه، وشاع في الناس، وقيل: قد رجع الدارميّ عن نسكه، فلم تبقَ في المدينة ظريفة إلاّ ابتاعت خماراً أسود حتى نَفِد ما كان مع الكوفيّ. فلمّا علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه، ولزم المسجد.

الأصفهاني: الأغاني. ج٣/٤٥

الفصل الحادي عشر

متفرِّقات

جحا والحلاّق

جاء حلاّق يحلق رأس جحا ، فكان كلّما حلق موضعاً جَرَحَه ، وألصق فيه قطناً ... فلمّا حلق نصف الرأس قال له جحا :

« كفى يا أستاذ ! أنت زرعت نصف رأسي قطناً ، فَدَعْ لي النصف الآخر ، لأنّي أريد أن أزرعه كتّاناً » .

الدواء الشافي

أُصِيبتْ ناقةٌ بالجَرَب . فأخذها صاحبها إلى جحا ، وقال له : « اقْرَأْ لي على هذه الناقة لتشفى » . فَقَرَأَ جحا على الناقة ما تيسّر له ، ثمّ قال لصاحبها : « إذا أَرَدْتَ أنْ تُشْفى ناقتُك من الجَرَب فأضف إلى قراءتي بعضاً من القطران » .

لا فرق بيني وبينك

رأى جحا في نومه أنّ رجلاً أعطاه أربعة دراهم ، فقال له : « أكْمِلْها على الخمسة » .

فأبى الرجل غاضباً ، وألحّ عليه جحا ، فَتَعَارَكا وتَضَارَبا حتى صَحَا جحا من نومه ، ولم يَرَ في يده شيئاً ، فندم على عَدَم قبوله بالأربعة دراهم . فَأَغْمَضَ

عينيه، وحاول النوم، مادّاً يده مفتوحة، وراح يقول:

«هاتِ الأربعة... فلا فرق بيني وبينك».

اسألوا البغلة

شَرَدَتْ بَغْلَةُ جحا، هائمة على وجهها، وهو على ظهرها. فرآه بعض أصحابه، فسألوه: «إلى أين، يا جحا؟»

فأجابهم:

«أوَتسألونني... آسْألُوا البغلة!»

حيلة يهوديّ

وَجَدَ يهوديّ مسلماً يأكُلُ شِواءً في يومٍ من أيّام رمضان، فطلبَ أن يُطعمه، فقال له المسلم: يا هذا، إنّ ذبيحتنا لا تحلّ على اليهود. فقال اليهودي: أنا في اليهود مثلك في المسلمين.

الكشكول. ج ٢، ص ٢٩٦

في مجلس شراب

اجتمعَ في مجلس شراب أعمى، ومفلوج(١)، وأقطع(٢). فقيل للأعمى: غنِّ. فغنّى:

إنـي رأيـت عَشيَّـةَ النَّفْـرِ حُـوراً نَقَيْـنَ عَـزيمَـةَ الصَّبْـرِ

---

(١) مفلوج مصاب بالفالج.

(٢) أقطع :أبتر.

ثم قيل للمفلوج: غَنِّ فغنّى:

إذا اشْتَدَّ شَوْقي وَهَاجَ الألَمْ   عَدَوتُ على بَابكُمْ في الظُّلَمْ

وقيل للأقطع. غنِّ. فغنّى:

شَبَكتُ عَشْري على رأسي وَقُلْتُ لَه   يا رَاهِبَ الدَّيْرِ هَلْ مَرَّتْ بِكَ الإبِلُ

فقالوا. «قاتلك الله، أنت أكْذَبُنا، وأجْوَدُنا غِناءً»

الحجر الأسود

قال الجاحظ: رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد، يُنادى عليها، وعلى خدّها خال أسود، فاقتربت منها وأخذت أفحصها فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: «مكة» فقلت: «الله أكبر، قَرُبَ الحجُّ، أتَأذَنين لي أن أقبّل الحجر الأسود؟ فقالت لي: «ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿لم تَكُونُوا بالغِيهِ إلاّ بِشِقِّ الأنْفُس[1]﴾.

الصائغ وصورة الشيطان

قال الجاحظ: أتَتْني آمرأة، وأنا على باب داري، فقالت: لي إليك حاجة، وأريدُ أنْ تمشي معي. فقمتُ معها إلى أن أتتْ بي إلى صائغ، وقالت له: مثْلُ هذا! وانصرفَتْ. فسألتُ الصائغ عن قولها، فقال: إنّها أتت إليّ تَسْألُني أن أنقش لها على خَاتم صورة شيطان، فقلت لها: ما رأيت الشيطانَ لأنْقُشَ صورته. فأتت بك، وقالت ما سمعتَ.

السندوبي: أدب الجاحظ. ص١٦٦

---

(١) النحل: ٧.

البصري والمدني

نَزَلَ بصريٌ على مدنيّ، وكان صديقاً له، فأطال المقام عنده، فقال المدنيّ لامرأته: إذا كان غداً، فإنّي أقول لضيفنا: «كم ذراعاً تقفِز؟» ثم أقفز، فإذا قفز هو فأغلقي الباب!

فلمّا كان الغد، قال له المدني: كيف قفزك يا أبا فلان؟ قال: جيّد! فَعَرَضَ عليه أن يَقفز معه، فأجابه، فوثبَ المدنيّ من داره إلى الخارج أذرعاً، وقال للضيف: ثِبْ أنت! فَوَثَبَ الضيف الى داخل الدار ذراعَين. فقال له: وَثَبْتُ أنا إلى خارج الدار أذرعاً، ووَثبت أنت الى داخلها ذراعَين؟ فقال الضيف: ذراعان في الدار خير من أذرع الى الخارج.

حدائق الازاهر. ص٢٠٦

خبّروني عن نسائكم

قال الجاحظ: جلَسَتِ آمرأة من العرب إلى فتيان يشربون فَسَقَوها قَدَحاً، فطابَتْ نفسها، ثم سَقَوها آخر فآحمرّ وجهها، ثمّ سَقَوها ثالثاً فقالت: خبّروني عن نسائكم بالعراق هل يَشْرَبْنَ من هذا الشراب؟ قالوا: نعم! قالت: زَنَيْنَ وربّ الكعبة! واللهِ ما يدري أحدكم من أبوه!

حدائق الأزاهر. ص٢٠٦

قلّة الشهيّة

نَزَلَ رجل على ديرانيّ بالشام، فقدّم إليه أربعة أرغفة وذهب ليأتيه بعدس، فلمّا جاء وجده قد أتى على الأرغفة، فوضع العدس بين يديه، وذهب ليزيده رغيفاً لكي يأكل به العدس. ولمّا جاءَ به وجده قد أكل العدس، فوضع

الرغيف وذهب، فجاءه بصحفة أخرى من العدس، فوجده قد أكل الرغيف. فما زال كذلك حتى أتى على طعام تسعة رجال. فلمّا فرغ سأله الديرانيّ عن حاله ومقصده[1]، فقال: أريد الأردنّ، فإنه بلغني أن به طبيباً جيداً، وأنا في هذه المدّة أصابني سوء هضم، وقلّة شهوة للطعام! فقال له الديراني: بالله إذا رجعت وقد تَطَبَّبتَ، أن تأخذ على غير هذه الطريق، فإنّ هذا الدير لقوم ضعفاء! فخجل الرجل، وقال: نعم!

حدائق الأزاهر. ص٢٢٧ ـ ٢٢٨

طبقات الألفاظ

قال رجل لآخر: قد أحكمت النحو كلّه إلاّ ثلاث لفظات أُشْكِلتْ عليّ! قال: وما هي؟ قال: أبا فلان، وأبو فلان، وأبي فلان، ما الفرق بينها؟ قال له صاحبه: أمّا أبو فلان فللملوك، والأمراء، والقضاة، والحكّام. وأمّا أبا فلان فللتجّار وأرباب الأموال، والوسط من الناس، وأما أبي فلان فللسّفَلَة والأسقاط والأوباش من الناس!

حدائق الأزاهر. ص٢٧٣

إيّاك أعني واسمعي يا جارة

خرج سهل بن مالك الفزاري يريد النعمان، فَمرّ ببعض أحياء طَيّئْ، فسأل عن سيّد الحيّ، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمّ رَحْلَه فلم يصبه شاهداً[2]. فقالت له أخته: انزل في الرَّحْبِ والسَّعة. فنزل وأكرمته ولاطفته، ثم خرجت من خبائها. فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم، فَمَلَكَتْ قلبه، فجَعَل لا يدري

(١) مقصد: إلى أين يقصد.
(٢) لم يصبه شاهداً: لم يجده.

كيف يكلمها في ذلك. فجلس بفناء الخباء يوماً، وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يا أُخْتَ خَيْرِ البَدْوِ والحَضَارَهْ   كَيْفَ تَرَيْنَ في فَتى فَزارَهْ
أصبَحَ يَهْوَى حُرَّةً معْطارَهْ   إياكِ أعْني وٱسْمَعي يا جَارَهْ

فلمّا سمعت قوله عرفت أنّه إياها يعنى فقالت: ماذا يقول ذي عقل أريب[1]، ولا رأي مصيب ولا أنف نجيب[2] فأقم ما أقمت مكرّماً، ثمّ ارتحل متى شئت مسلّماً. ويقال أجابته نظماً فقالت:

إنّي أقُولُ يا فتَى فزارَهْ   لا أبتَغي الزَّوجَ ولا الدَّعَارَهْ
ولا فِراقَ أهلِ هذِي الجارَهْ   فٱرحَلْ إلى أهْلِكَ بٱسْتِخَارَهْ

فٱسْتَحْيَا الفتى، وقال: ما أردت منكراً وا سَوْءَتاه. قالت: صدقت فكأنّها استحيت من تسرّعها إلى تهمته، فٱرتحل، فأتى النعمان فحيّاه وأكرمه. فلّما رجع نزل على أخيها. فبينما هو مقيم عندهم تطلّعت إليه نفسها، وكان جميلاً، فأرسلت إليه أن اخطبني إن كان لك إليّ حاجة يوماً من الدهر، فإنّي سريعة إلى ما تريد. فخطبها، وتزوّجها، وسار بها إلى قومه.

الميداني: مجمع الأمثال. ١/٣٥

حِلم امرأة

قيل لامرأة من الخوارج، كان الحجاج قد أسر لها زوجها وولدها وأخاها: إنّ الحجّاج يطلب إليك أن تختاري أحد هؤلاء الأسرى الثلاثة ليطلق سراحه. فمن تختارين؟ »فأطرقت هُنَيْهة، ثم قالت:« الزوج موجود، والابن مولود،

---

(١) أريب: راجح.
(٢) نجيب: كريم.

والأخ مفقود ، أختار الأخ ». فقال الحجّاج: عفوت عنكم جميعاً لحسن كلامها وحكمتها.

لا تصدّقه

استأجَرَ أحدهم حمّالاً لينقل له طرداً فيه صحون، على أن يعلّمه ثلاث حِكَم يَنْتَفِعُ بها في حياته. ولمّا اجتازا ثلث الطريق، قال الحمّال: «هاتِ الحكمة الأولى». فقال: «من قال لك إن الجوع خيرٌ من الشبع فلا تصدّقه».

ولمّا بلغا الثلث الثاني. قال الحمّال: «هاتِ الثانية» فقال: «من قال لك إن السير على الأقدام خير من الركوب فلا تصدّقه».

ولمّا اقتربا من الدار، قال الحمّال: «هاتِ الثالثة». فقال: «من قال لك إنّه يوجد أحمق منك فلا تصدّقه». فاضطرب الحمّال، ورمى الطرد بقوّة على الأرض، وقال: «من قال لك إنّه يوجد صحن غير مكسور في هذا الطرد فلا تصدّقه».

قدْر الولد عند أهله

سُئِل عبيد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: مُلْكٌ حادث. قال: وموت الزوج؟ قال: عرس جديد. قال: وموت الأخ؟ قال: قِصَر الجناح. قال: وموت الولد؟ قال: صدعٌ في الفؤاد لا ينجبر.

الجنّة للعرب

قال رجل من العرب: رأيت البارحة في منامي، وكأنني في الجنّة، فرأيت كل ما فيها من القصور والجنائن التي تجري من تحتها الأنهار، فقلت لِمَنْ هذه؟ فقيل لي: «إنها للعرب».

فانتفض، عند ذلك، رجل من الموالي، وسألني: «هل دخلت الى الغرف؟» فأجبت: لا. فقال: تلك لنا.

الدهر بالمرصاد

جَلَسَ رجل إلى مائدة الطعام يأكل وزوجته دجاجة مشويّة، فوقف سائل يطرق الباب، ويقول: منقطع وابن سبيل، فخرج إليه الرجل غاضباً، ونَهرَه، وزَجَره، وردّه ردّاً غير كريم. فٱنْصرَفَ السائل كاسف البال، كئيباً حزيناً. ومرّت الأيام، وإذا بذلك الرجل قد افتقر بعد غنى، واحتاج إلى السؤال، فرحل يضرب الأرض، ويعيش على إحسان المحسنين، بعد أن طلّق زوجته، قبل رحيله، وتزوّجت في بلد غير بلدها. وبينما كانت تأكل وزوجها دجاجة مشويّة، إذا بسائل يطرق الباب، ويقول منقطع وابن سبيل، فقال الرجل لزوجته: احملي هذه الدجاجة، وادفعيها إليه، ومعها هذان الرغيفان. فخرجت ودفعت ذلك إليه، فإذا بها تعود مسرعة وهي تبكي. ولمّا سألها زوجها عن سبب بكائها، أخبرته أن السائل هو زوجها الأول، وذكرت له قصّته مع ذلك السائل الذي انتهزه وزجره. فأطرق الرجل قليلاً ثم قال: والله لقد كنت أنا ذلك السائل.

وافق شنّ طبقة

كان شَنٌّ رجلاً من دُهاةِ[١] العَرَب وعقلائهم. فقال يوماً: «والله لأطوفنّ[٢] حتّى أجد امرأة مثلي أتزوّجها. فبينما هو في بعض مسيره، إذ رافقه رَجلٌ في الطريق، فسأله شنّ: «أين تريد؟» فقال: مَوْضعَ كذا.» يريد القرية التي يقصدها شَنٌّ. فرافقه حتّى إذا أخذا في مسيرهما، قال له شنٌّ: «أتحمِلني أم أحملُكَ؟» فقال له الرجل: «يا جاهل، أنا راكب، وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟» فسكت عنه شَنٌّ. وسارا حتّى إذا قَرُبا من القرية، إذا بزرعٍ قد استَحْصَدَ[٣]. فقال شَنٌّ: «أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا؟» فقال له الرجل: «يا جاهل، ترى نبتاً مستَحصداً فتقولُ: أُكِلَ أم لا؟» فسكت عنه شَنٌّ.

حتى إذا دخل القرية، لَقيتَهما جنازة، فقال شن: «أترَى صاحب هذا النعش[٤] حيّاً أم مَيْتاً؟ فقال له الرجل: «ما رأيتُ أجهل منك، ترى جَنَازة تسأل عنها أمَيْتٌ صاحبها أم حَيٌّ؟» فسكت شَنّ، وأراد مفارقته، فأبى الرجل أن يتركه، حتّى يصير به إلى منزله، فَمَضَى معه. وكان للرجل بنت يقال لها طَبَقَة. فلمّا دَخَلَ إليها أبوها، سألته عن ضيفه. فأخبرها بمرافقته إيّاه، وشكا إليها جهله، وحدَّثها بحديثه. فقالت: يا أبَتِ، ما هذا بجاهل، أمّا قوله أتَحمِلُني أم أحْمِلُكَ، فأراد أتُحدّثني أم أحدّثك، حتّى نقطع طريقنا. وأما قوله: أترَى هذا الزرع أُكلَ أم لا، فأراد هل باعه أهله، فأكلوا ثمنه أم لا؟ وأما قوله في الجنازة، فأراد، هل ترك عَقِباً[٥] يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج

---

(١) دهاة: ج داه، وهو الذكي والفطن.

(٢) طاف: تجوّل، تنقّل من مكان إلى آخر.

(٣) استحصد: حان وقت حصاده.

(٤) النعش: ما يحمل فيه المَيْت.

(٥) عقباً: رلداً.

الرجل، فجلس إلى شنّ، فحادثه ساعة، ثم قال: أتحبُ أن أفسّر لك ما سألتني عنه؟ فقال: «نعم» ففسَّره. فقال شنٌّ: «ما هذا من كلامك» فأخبرني من صاحبه؟ قال: «ابنةٌ لي». فخطبها إليه، فزوّجه إيّاها، وحملها إلى أهله. فلمّا رأوها، قالوا: «وافق شَنٌّ طبقة».

الكرم طبع

لمّا توفّي حاتم الطائي، أراد أخوه أن يتشبّه به. فَنَهَتْه أمّه عن ذلك بقولها: أتريد أن تحذو حَذْو أخيك؟! لا تُتْعِبَنَّ نفسك في ذلك يا بنيَّ: فأجابها بقوله: وَلِم لا، أليس أخي من أمي وأبي؟» فقالت: بلى! ولكنه منذ ولادته كان يأبى الرضاعة إلاّ أن يشاركه فيها أحد. أمّا أنت، فكنتُ إذا أرضعتك، ودخل صبيّ بكيت إلى أن يخرج».

حيوانات نوح

صَعِدَت امرأة بدينة سيّارة نقل، وجَلَسَتْ قرب أحد الركاب، فقال لصديقه مازحاً: ما كنتُ أظنُّ أن هذه السيّارة صالحة لنقل الفيلة! فأجابته المرأة على الفور: إن هذه السيّارة شبيهة بسفينة نوح، يدخل إليها كل انواع الحيوانات من الفيل إلى الحمار.

جَاورينا وأخبرينا

كان رَجُلان يَتَعَشَقَان آمرأةً، وكان أحدهما جميلاً وسيماً، وكان الآخر دميماً تقتحمه[1] العين. فكان الجميل منهما يقول: عاشرينا وآنظري إلينا. وكان الدميم يقول: جاورينا وآخبرينا. فكانت تُدْني الجميلَ. فقالت: «لأختبِرَنَّهما. فقالت لكلّ واحد منهما أن ينحر جَزُوراً[2]، فأتَتْهما متنكّرة، فبدأت بالجميل فوجدته عند القِدْر يَلحَس الدسم، ويأكل الشحم، ويقول: «احتفظوا كلّ بيضاء لِيَهْ» يعني الشحم، فآستَطْعَمَته فأمر لها بِثَيْل[3] الجَزور، فوضع في قصعتها[4]؛ ثم أتت الدميم، فإذا هو يَقْسِمُ لحم الجزور، ويُعْطي كلّ من سأله. فسألته، فأمر لها بأطايب الجَزور، فوضع في قَصعَتها. فرَفَعَت الذي أعطاها كلٌّ واحد منهما على حِدِة. فلمّا أصبَحَا غَدَوَا إليها، فوَضَعَتْ بين يدَي كلّ واحد منهما ما أعطاها. وأقْصتِ الجميل، وقرّبتِ الدميم، ويقال إنها تزوّجته.

(الميداني. ج ١، ص٢٨٨)

---

(١) تقتحمه: تحتقره.

(٢) الجزور: ما يذبح من المواشي.

(٣) ثيل الجزور: قضيبه.

(٤) القصعة: الصحفة من الخشب.

رُبَّ ساعٍ لقاعد

لمّا أخذ معاوية[1] من الناس البَيْعةَ لآبنه يزيد[2] قال له: يا بُنيّ، قد صيّرتك وليّ عهدي بعدي، وأعطيتك ما تَمَنَّيْتَ، فهل بقي لك حاجة أو في نفسك أمر تحبّ أن أفعله؟ قال يزيد: يا أمير المؤمنين، ما بقيت لي حاجة، ولا في نفسي غُصّة ولا أمر أُحِبُّ أن أناله إلاّ أمر واحد. قال: وما ذاك يا بنيّ؟ قال: كنت أحِبّ أن أتزوج أمّ خالد آمرأة عبدالله بن عامر بن كريز، فهي غايتي ومُنْيَتي من الدنيا. فكتب معاوية إلى عبد الله بن عامر، فاستقدمه. ولمّا قدم عليه أكرمه، وأنزله أيّاماً، ثمّ خَلاَ به، فأخبره بحال يزيد، وسأله طلاق أم خالد على أن يطعمه فارسَ خمسَ سنين. فأجابه إلى ذلك. وكَتَبَ عهده، وخلّى عبد الله سبيل أم خالد. فكتب معاوية إلى الوليد بن عُتْبَة[3]، وهو عامل المدينة أن يُعلم أم خالد أنّ عبد الله قد طلّقها لتعتدّ، فلمّا انقضت عِدّتها، دعا معاوية أبا هُرَيرة[4]، فدفع إليه ستّين ألفاً، وقال له: آرحلْ إلى المدينة حتى تأتيَ أمَّ خالد فتخطبها على يزيد، وتُعلمها أنّه وليّ عهد المسلمين، وأنّه سخيّ كريم، وأنّ مهرها عشرون ألف دينار، وكرامتها عشرون ألف دينار. فقدم أبو هُرَيرة المدينة ليلاً. فلمّا أصبح أتى قبر الرّسول (ص) فلقيه الحَسَن[5] بن عليّ، فسلّم عليه وسأله: متى قدمت؟ قال: البارحة. قال:

---

(١) راجع ترجمته في الفصل الأوّل.

(٢) راجع ترجمته في الفصل العاشر.

(٣) هو الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان بن حرب الأموي (... - ٦٤ هـ = ... - ٦٨٤)، أمير، فصيح، حليم، كريم. ولي المدينة في أيام معاوية. وكان مستشاراً ليزيد فيما بعد. (الزركلي ج٨، ص١٢١).

(٤) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٢١ ق هـ ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩) لقبه أبو هُرَيرَة، صحابي، راوية، حافظ للحديث. استعمله عمر على البحرين ثم عزله لشدّة تقواه. اشتغل في الإفتاء. (الزركلي ج٣، ص٣٠٨)

(٥) هو الحسن بن علي بن أبي طالب (٣ - ٥٠ هـ = ٦٢٤ - ٦٧٠) بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه، وما لبث أن خلع نفسه حفاظاً على دم المسلمين. (الزركلي ج٢، ص١٩٩)

وما أقدمك ؟ فقصّ عليه القصّة. فقال له الحسن: فأذكرني لها. قال «نعم». ثم مضى فلقيه الحُسين بن علي[1] وعُبيد الله بن العباس[2] (رض) فسألاه عن مَقْدَمه، فقصّ عليهما القصّة. فقالا له: آذكرنا لها. قال: نعم. ثمّ مضى فلقيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[3] وعبد الله بن الزبير[4]، وعبد الله بن مطيع بن الأسود[5]، فسألوه عن مقدمه فقصّ عليهم القصّة، فقالوا: اذكرنا لها. قال: «نعم» ثم أقبل حتى دخل عليها فكلّمها بما أمر به معاوية، ثمّ قال لها: إن الحسن والحسين آبنيّ عليّ وعبد الله بن جعفر وعبيد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألوني أن أذكرهم لك. فقالت: أمّا همّي فالخروج إلى بيت الله والمجاورة له حتّى أموت أو تشير عليّ غير ذلك. قال أبو هُرَيرة: أما أنا فلا أختار لك هذا. قالت: فاختر لي. قال: آختاري لنفسك. قالت: لا، بل آخْتَر لي أنت. قال لها: أمّا أنا فقد آخترت لك سيّدَيْ

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب (٤ هـ = ٦٢٥ - ٦٨٠). دعاه أهل الكوفة للمبايعة بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم مستعدّون للوثوب على بني أميّة. وفي الطريق كمن له الأمويون، ودارت معركة بين الفريقين، فقتل الحسين، وقطع رأسه، وحمل الى دمشق (الزركلي. ج ٢، ص ٢٤٣)

(٢) هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب (١ - ٨٧ هـ = ٦٢٢ - ٧٠٦). وال، كريم، كان ينحر كل يوم جزوراً. قيل إنه أول من وضع الموائد على الطرق. وفيه قال أحد الشعراء:

وأنتَ ربيعٌ لليَتامَى وعِصْمَةٌ ... إذا المَحْلُ من جوّ السماء تطلّعاً

(الزركلي. ج ٤، ص ١٩٤)

(٣) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب (١ - ٣٨٠ هـ = ٦٢٢ - ٧٠٠ م). صحابي، أول من ولد بالحبشة من المسلمين. كان كريماً جواداً. للشعراء فيه مدائح. وكان أميراً في جيش علي يوم معركة «صفين».

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي (١ هـ ٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢) فارس قرشي. بويع بالخلافة عقيب موت يزيد بن معاوية. كانت له مع الأمويين وقائع هائله. قتله الحجّاج في مكّة. دامت خلافته تسع سنوات. وهو أول من نقش لدراهم المستديرة. (الزركلي ج ٤، ص ٨٧).

(٥) هو عبد اللهبن مطيع بن الأسود الكعبي (... - ٧٣ هـ ... - ٦٩٢). من أفضل رجال قريش جَلَداً وشجاعة. قتل مع عبد الله بن الزبير في مكّة (الزركلي ج ٤، ص ١٣٩).

شباب أهل الجنَّة. فقالت: قد رضيت بالحسن بن عليّ. فخرج إليه أبو هُرَيرة فأخبر الحَسَن بذلك، وزوَّجها منه، وانصرف إلى معاوية بالمال، وقد كان قد بَلَغَ معاوية قصّته. فلمّا دخل عليه، قال له: إنّما بَعَثْتُك خاطباً ولم أبعثك مُحْتَسِباً. قال أبو هريرة: إنها استَشارَتْني، والمستشار مُؤتَمَن. فقال معاوية عند ذلك: آسْلَمي أمّ خالد، رُبّ ساعٍ لقاعد، وآكل غير حامد.

(الميداني. ج٢، ص٤٦ - ٤٧)

رَجَعَ بخُفَّي حُنَين

كان حُنين إسكافياً، فساومه أعرابيٌّ بخفَّين، فآختلفا حتّى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي. فلمّا آرتحل الأعرابيّ أخذ حنين أحد خفّيه، وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر. فلمّا مرّ الأعرابيّ بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخُفّ بخُفّ حُنَين، ولو كان معه الآخر لأخذته! ومضى. فلمّا آنتهى إلى الآخر نَدِم على تركه الأول وقد كَمَنَ له حنين. فلمّا مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حُنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها. وأقبل الأعرابيّ، وليس معه إلاّ الخُفّان. فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: «جئتكم بخفَّي حُنَين».

الميداني. ج٢، ص٤٠.

ندامة الكُسَعيّ

كان الكُسَعيُّ[١] يرعى إبلاً له بوادٍ مُعْشِبٍ. وبينما هو كذلك إذ أبصر نَبْعة[٢] في صخرة، فأعْجَبَتْه، فقال: ينبغي أن تكون هذه قوساً. فجعل يَتَعَهّدها[٣] ويرصدها حتى إذا أدركت قَطَعَها وجفّفها واتّخذ منها قوساً، وأنشأ يقول:

يا رَبِّ وَفِّقْني لِنَحْتِ قَوْسي فإنّها من لَذّتي لِنَفْسي
وانْفَعْ بِقَوْسي وَلَدي وَعِرْسي أَنْحَتُها صَفْراءَ مِثْلَ الوَرْسِ
صَفْراءَ لَيْسَتْ كَقِسِيِّ النِّكْسِ.

ثم دهنها وخطمها[٤] بوَتَرَ، ثم عمد إلى ما كان من بُرَايتها فجعل منها خمسة أسهم، وجعل يُقلّبها في كفّه ويقول:

هُنَّ وَرَبِّي أَسْهُمٌ حِسَانُ تَلَذُّ لِلرّامي بها البَنَانُ[٥]
كأنَّ قَوامَها مِيزَانُ فَأَبْشِرُوا بالخِصْبِ يا صبيانُ
إن لم يَعُقْني الشُّؤْمُ والحِرْمانُ

ثمّ خرج حتى أتى قُتْرةً[٦] على موارد حُمرٍ[٧]، فَكَمَنَ فيها. فمرّ قطيع منها فَرَمَى عَيْراً منها فأمخَطَه[٨] السهم، وأصاب الجبل فَأَوْرَى[٩] ناراً، فظنّ أنه

(١) هو محارب بن قيس الكسعي (؟) شاعر يضرب به المثل في الندامة. قال الفرزدق، وقد ندم على طلاق زوجه «نوار»:

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيّ لمّا غَدَتْ مِنّي مطلقَةً نَوَارُ.

(٢) نبتة: نوع من الشجر الصلب يصنع من أغصانها أجود الرماح والنبال.

(٣) يتعهّدها: يعتني بها.

(٤) خطمها: علّقها.

(٥) البنان: الأصابع.

(٦) قترة: بيت يختبىء فيه الصيّاد.

(٧) حمر: ج حمار، وهنا تعني حمار الوحش.

(٨) أمخطه: نفذ منه.

(٩) أورى: أخرج لهباً.

أخطأه، فأنشأ يقول:

أعوذُ باللهِ العَزيزِ الرَّحمنْ مِنْ نَكَدِ الجَدِّ مَعاً والحِرْمانْ[1]
ما لي رَأيْتُ السَّهْمَ بينَ الصَّوَّانْ يُورِي سُرَراً مِثلَ لَوْنِ العِقْيانْ
فَأخْلَفَ اليَوْمَ رَجاءَ الصِّبْيانْ

ثم مَكَثَ على حاله، فمرّ قطيع آخر، فَرَمَى منها عَيْراً فأمخطه السهم، وصنع صنيع الأوّل، فأنشأ يقول:

لا بَارَكَ الرَّحْمَنُ في رَمْيِ القتَرْ أعُوذُ بالخالِقِ مِن سوءِ القَدَرْ[2]
أأمْخَطَ السَّهْمُ لإرهاقِ البَصَرْ أم ذاك مِنْ سُوءِ احْتِيالٍ وَنَظَرْ

ثم مَكَثَ على حاله، فمرّ قطيع آخر، فَرَمَى منها عَيْراً، فأمخطه السهم، فصنع صنيع الثاني، فأنشأ يقول:

مَا بَالُ سَهْمِي يوقِدُ الحُبَاحِبَا قَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ يَكُونَ صَائِبَا[3]
وأمْكَنَ العَيْرُ وَوَلَّى جَانِبَا فَصَارَ رَأْيِي فيه رأياً خَائِبَا

ثم مكث على حاله، فمرّ قطيع آخر، فرمى عيراً منها، فصنع صنيع الثالث، فأنشأ يقول:

يا أسَفِي للشُّؤمِ والجَدِّ النَّكِدْ أخْلَفَ مَا أرْجُو لأهْلٍ وَوَلَدْ

ثمّ مرّ به قطيع آخر، فرمى منه عَيْراً، فصنع صنيع الرابع، فأنشأ يقول:

أبَعْدَ خَمْسٍ قَدْ حَفِظْتُ عَدَّهَا أحْمِلُ قَوْسِي وأُرِيدُ وِردَهَا
أخْزَى الإلَهُ لِينَهَا وشَدَّهَا واللهِ لا تسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا
ولا أُرَجّي ما حَيِيتُ رِفدَهَا

---

(١) جدّ نكد: حظ سيّء.

(٢) رمي القتر: كناية عن إصابة الأرض.

(٣) يوقد: يشعل. الحُباحب: النار الخفيفة أو الضعيفة. والحباحب هو ذباب يطير في الليل يضيء ذنبه كالسراج.

ثم عَمَد إلى قوسِهِ، فضرب بها حجراً فَكَسَرها، ثمّ بات، فلمّا أصبح[1] نظر فإذا الحُمُر مطروحة حوله مُصرَعَة، وأسهمه بالدم مضرّجة[2]، فندم على كَسْر القَوْس، فشدّ على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

نَدِمْتُ نَدامةً لَوْ أن نفسي ... تُطاوِعُني إذاً لَقطَعْتُ خَمْسِي[3]
تَبَيَّنَ لي سَفَاه الرّأيِ منّي ... لَعَمْرُ أبيكَ حِينَ كَسَرْتُ قوسي[4]

(الميداني: ج٣، ص٣٩٨ - ٤٠١)

مواعيد عرقوب

قال عرقوب[5] لأخيه: «إذا أطْلَعَتْ[6] هذه النخلة فلك طَلْعها». فلمّا أطلعت أتاه أخوه، فقال عرقوب: «دَعْها حتى تصير بَلَحاً[7]» فلما أبْحَلَتْ قال: «دَعْها متى تصير زهواً[8]». فلمّا زَهَتْ قال: «دَعْها حتى تصير رُطَباً[9]». فلمّا أرْطَبَتْ قال: «دَعْها حتّى تصير تَمراً». فلمّا أتْمَرَتْ عمد إليها عرقوب ليلاً فجدّها[10]، ولم يُعطِ أخاه شيئاً. فذهب موعود عرقوب مثلاً.

(الميداني. ج٣، ص٣٣٠)

---

(١) أصبح: قام عند الصباح.
(٢) مضرّجه: ملطّخة.
(٣) خمس: أصابعي الخمس.
(٤) سفاه الرأي: الجهل.
(٥) عرقوب: رجل من يثرب يضرب به المثل في إخلافه بالوعد.
(٦) أطلعت النخلة: بدء ظهور ثمرها.
(٧) البلح: ثمر النخيل الأخضر غير الناضج.
(٨) الزهو: البلح المتلوّن.
(٩) الرطب: ما نضج من البلح قبل أن يصير تمراً.
(١٠) جدّها: قطعها.

كيف أعاودك وهذا أثر فأسك

كان أخوان في إبل لهما، فأجْدَبت[1] بلادهما، وكان بالقرب منهما وادٍ خصيب، وفيه حيَّة تحميه، فقال أحدهما للآخر لو أنّي أتيت هذا الوادي المكلىء[2] فرعيت فيه إبلي. فقال الآخر: «إنّي أخاف عليك الحيّة». ألا ترى أنّ أحداً لايهبط ذلك الوادي إلاّ أهْلكته. قال: فواللهِ لأفْعَلَنَّ! فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً، ثمّ إنّ الحيّة نهشته[3] فقتلته. فقال أخوه: «والله ما في الحياة بعد أخي خير، فَلأطلبَنَّ الحيَّة ولأقْتُلَنَّها أو لأتبَعَنَّ أخي». فهبط ذلك الوادي، وطلب الحيَّة ليقتلها. فقالت الحيّة له: «ألَسْتَ ترى أني قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي، وأعطيك كلّ يوم ديناراً ما بقيت؟» قال: «أوَفاعلة أنت؟» قالت: «نعم». قال: «إنّي أفعل» فَحَلَفَ لها، وأعطاها المواثيق لا يضرّها، وجَعَلَتْ تعطيه كلّ يومٍ ديناراً، فَكَثُر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً. ثم إنه تذكّر أخاه، فقال: «كيف ينفعني العيش، وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس، فأخذها ثم قعد لها، فمرّتْ به فتبعها، فضربها فأخطأها، ودخلت الجحرْ، ووقعت الفأس فوق جُحرها فأثّرت فيه. فلمّا رأت ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرجل شرّها وندم، فقال لها: «هل لكِ في أن نتواثق ونعود إلى ما كنّا عليه؟ فقالت: «كيف أعاودك وهذا أثر فأسك».

(الميداني. ج٣، ص٢٧ - ٢٨)

---

(١) أجديت: قلّ عشبها.

(٢) المكلىء: الكثير العشب.

(٣) نهشته: لسعته.

مجير أم عامر

دخلت أمُّ عامر(١) خِباء أعرابيّ خوفاً من قوم كانوا يصطادون في يوم حار، فخرج الأعرابي، وقال لهم: ما شأنكم؟ قالوا: صيدُنا، وطريدتنا، فقال: كلاّ، والذي نفسي بيده، لا تصلون إليها ما ثَبَتَ قائم سيفي بيدي. فرجع القوم وتركوه. فقام الأعرابي إلى لِقْحَةٍ(٢) فَحَلَبها، وقدّم لها. فأقبلت تَلِغُ(٣) حتى ٱرْتَوتْ. وبينما كان الأعرابيّ نائماً في بيته إذ وَثَبت عليه فبقرَت(٤) بطنه وشرِبَتْ دمه، وتركته. فجاء ابن عمّ له يطلبه، فإذا هو بقير في بيته، فٱلْتَفَتَ إلى موضع الضبع فلم يَرَها، فقال: «صاحبتي واللهِ! فأخذ قوسه، وتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتلها، وأنشأ يقول:

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ معَ غَيْرِ أهلِـهِ ... يُلاَقِ الذي لاقى مُجيرُ أمّ عَامِـرِ(٥)
أدامَ لها حِيـنَ ٱستَجـارتْ بِقُـرْبِـهِ ... لها مَحضَ ألبَانِ اللقّاحِ الدّرائـرِ(٦)
وَأسْمَنَهـا حتّـى إذا مـا تَكَـامَلَـتْ ... فَـرَتْـهُ بـأنْيـابٍ لهـا وأظـافِـرِ(٧)
فَقُلْ لِذَوِي المَعْرُوفِ هذا جَزَاءُ مَنْ ... بَدَا يَصْنَعُ المَعْرُوفَ في غير شاكـرِ

(الميداني. ج٣، ص٢٥ - ٢٦)

---

(١) أم عامر: الضبع.
(٢) لقحة: ناقة حلوب.
(٣) تلغ: تشرب بطرف لسانها.
(٤) بقرت: شقّت.
(٥) مجير: مساعد.
(٦) أدام: قدم لها الأدام - استجارت: احتمت.
(٧) فرته: مزّقته.

كلّ فتاة بأبيها مُعْجَبَة

جَلَستِ العَجْفَاءُ بنت عَلْقمه السَّعْديّ[١] مع ثلاث نسوة من قومها في روضة مُعْشِبة خصبة، فقلن: أيّ النساء أفضل؟ قالت إحداهنّ: «الخرود[٢]، والودود، والولود» قالت الأخرى: «خيرُهنّ: ذات الغناء، وطيب الثناء، وشدّة الحياء. قالت الثالثة: «خيرُهنّ السَّموع الجَموع النَّفوع غير المنوع.» قالت الرابعة: «خيرهنّ الجامعة لأهلها، الوادعة الرافعة، لا الواضعة». قُلْنَ: فأيّ الرجال أفضل؟ قالت إحداهنّ: «خيرهم الخظيّ الرضيّ غير الحِظال[٣] ولا التبال[٤]». قالت الثانية: «خيرهم السيّد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم. قالت الثالثة: خيرهم السخيّ الوفيّ الذي لا يغيرّ الحُرّة، ولا يتّخذ الضُرّة. قالت الرابعة: وأبيكن، إن في أبي لَنَعْتكُنّ: كرم الأخلاق، والصدق عند التلاق، والفلْج[٥] عند السباق وَيَحْمَدُه أهل الرّفاق. قالت العجفاء عند ذلك: «كلّ فتاة بأبيها مُعْجَبَة».

(الميداني. ج٣، ص٩ ـ ١٠)

أَشْرَى الشرِّ صِغارُهُ

قالوا: إنّ صيّاداً قَدِم بِنِحْيٍ[٦] من عَسل، ومعه كلب له، فدخل على صاحب حانوت، فعَرَضَ عليه العسل ليبيعه منه، فَقَطَرَ من العسل قطرة، فوقع

---

(١) العَجْفاء بنت علقمة السعدي (؟). فصيحة جاهلية.

(٢) الخرود: العذراء الحييّة.

(٣) الحظال: البخيل.

(٤) النبال: الحقود.

(٥) الفلج: الفوز.

(٦) النحي: الوعاء أو الزقّ الذي يوضع فيه العسل ونحوه.

عليها زُنْبُور[1]، وكان لصاحب الحانوت ابن عرس[2]، فوثب على الزنبور فأخذه، فوثَبَ كلب الصيّاد على ابن عرس فقتله. فوثب صاحب الحانوت على الكلب فضربه بعصاً ضربة فقتله، فوثب صاحب الكلب على صاحب الحانوت فَقَتَلَه، فاجتمع أهل قرية صاحب الحانوت فوثبوا على صاحب الكلب فقتلوه، فلمّا بلغ ذلك أهل قرية صاحب الكلب اجتمعوا فاقتتلوا هم وأهل قرية صاحب الحانوت حتّى تفانَوا. فقيل هذا المثل في ذلك.

(الميداني. ج ٢، ص١٧٧)

العارون في الدنيا والكاسون في الآخرة

لَزِمَ أبو الشمقمق[1]، الشاعر الظريف بيته بسبب أثوابه الرثّة، وقلّة ذات اليد. فقال له أخوه: «أبْشِرْ يا أخي، فقد جاء في الحديث الشريف أنّ العارين في الدنيا هم الكاسون في الآخرة». فقال له: «إن كان ذلك حقّاً، فواللهِ لأكونَنَّ بزّازاً[2] يومَ القيامة».

عاقبة الطمع

صَحَبَ رجل ثريّ عَبْدَيْنِ في سفر، ولمّا طَمِعا في ماله هَمَّا إلى قتله. فقال لهما: «إذا كان لا بدّ من ذلك، فبالله عليكما أنْ تمضيا إلى داري، وتُنْشِدا ٱبْنَتَيَّ هذا البيت من الشعر». فقالا: ما هو؟ قال:

---

(١) الزنبور: حشرة شديدة اللسع.

(٢) ابن عرس: حيوان يشبه الفأره طويل الجسم يعرف بالخفّة والضراوة.

(١) هو مروان بن محمد (٠٠٠ نحو ٢٠٠ هـ = ٠٠٠ ـ نحو ٨١٥ م). شاعر هجّاء من أهل البصرة. وكان بشار يعطيه في كل سنة مئتي درهم يسمّيها أبو الشمقمق: «حرية». (الزركلي. ج ٧، ص ٢٠٩).

(٢) البزّاز: بائع الأقمشة.

مَنْ مُبْلِغٌ بِنْتَيَّ أنَّ أبَاهُمَا ... للهِ دَرُّكُمَا وَدَرُّ أبيكمَا

فقال أحدهما للآخر: «لا بأس».

ولمّا قتلاه قصدا داره، وقالا لِابْنَتَيْه: إنّ أباكما قد مات، وأمّننا عند احتضاره أن نُنْشِدَكما هذا البيت مِن الشعر. ولمّا سَمِعته الصغرى، خرجت حاسرة الرأس تولول وتصيح: هذان قتلا أبي. فاجتمع القوم وقالوا لها: ما الدليل على ذلك؟ قالت: المصراع الأوّل يحتاج إلى ثانٍ، والمصراع الثاني يحتاج إلى ما يكمله، إذ لا يليق أحدهما بالآخر.

فقالوا: وكيف ينبغي أنْ يكون؟ قالت:

مَنْ مُبْلِغٌ بِنْتَيَّ أنَّ أبَاهُمَا ... أمْسَى قَتِيلاً بالفَلاةِ مُجَنْدَلا
للهِ دَرُّكُمَا وَدَرُّ أبِيكُمَا ... لَنْ يَبْرَحَ العبدان حَتَّى يُقْتَلا

فَاسْتَنْطَقُوهُما فوجدوا أنّ الأمر كما قالت.

أسرق من بُرْجَان

بُرْجان لِصٌّ من أهل الكوفة، صُلِبَ بسبب سرقاته المتعدّدة. وفيما هو مصلوب، مرّ بقربه رجل على برذونه، فقال له: مرّ إلى تلك الخربة، فإنّ لي فيها مالاً، وأنا أحفظ لك برذونك. ولمّا غاب عنه، قال لأحدهم كان قد مرّ بقربه: «خذ هذا البرذون فهو لك».

أسْرَقُ من شِظاظٍ

مرّ شِظاظ[1] بعجوز من بني نمير تعقل بعيراً لها، وتعوذ بالله من شرّ شظاظ. فقال لها: «أتخافين على بعيرك هذا من شظاظ؟» فقالت: «ما آمَنُه

(١) شظاظ: رجل من بني ضبّة، كان يصيب الطريق.

عليه». فجعل يشغلها، وجعلت تُراعي جمله بعينها، فأغفلت بعيرها، فاستوى شظاظ عليه، وجعل يقول:

رُبَّ عَجُوزٍ مِنْ نُمَيْرٍ شَهْبَرَهْ   عَلَّمْتُها الإنْقاضَ بَعْدَ القَرْقَرَهْ[1]

أصَبّ من المتمنّية

مرَّ عمر بن الخطاب (رض)، ذات ليلة بباب دار امرأة مدنيّة كانت قد أحبّت فتىً من بني سليم يقال له: نصر بن حجّاج[2]، وكان أحسن أهل زمانه صورة، فسمعها تقول:

ألاَ سَبِيلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَها   أم لا سَبِيلَ إلى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ

فقال عمر: «مَنْ هذه المتمنّية؟» فعرف خبرها؛ ولمّا أصبح استَحْضَر الفتى المتمنَّى، ولمّا رآه بهره جماله، فقال له: «أأنت الذي تَتمنّاكَ الغانيات في خدورهنّ؟ لا أمّ لك! أما والله لأزيلنَّ عنك رداء الجمال». ثمّ دعا بحجّام فحلق جمّته[3]، ثمّ تأمّله، وقال له: «أنت محلوق أحسن». فقال: «وأيّ ذنب لي في ذلك؟» فقال: «صدقت، الذنب لي، إن تركتك في دار الهجرة»، ثمّ أركبه جملاً وسيّره إلى البصرة.

---

(١) الإنقاض: صوت الصغير من الإبل - القرقرة: صوت الكبير منها.

(٢) هو نصر بن حجاج بن عِلاط السُّلمي. شاعر من أهل المدينة. كان جميلاً. (الزركلي. ج ٨، ص ٢٣).

(٣) جمّته: شعر مقدّم الرأس.

الفهرس

الصفحة

الفصل الأوّل: من نوادر وطرائف الخلفاء.

الفصل الثاني: من طرائف ونوادر الأمراء والوزراء والقادة

الفصل الثالث: من نوادر وطرائف الفقهاء والقضاة

الفصل الرابع : من نوادر وطرائف النحاة

الفصل الخامس: من نوادر وطرائف الأعراب

الفصل السادس: من نوادر وطرائف المتنّبئين والحمقى

الفصل السابع : من نوادر وطرائف البخلاء والطفيليّين

الفصل الثامن: من نوادر وطرائف الأزواج

الفصل التاسع: من نوادر وطرائف الشعراء

الفصل العاشر : من نوادر وطرائف العشّاق

الفصل الحادي عشر : متفرّقات